

مفتاح الجنة
لا إله إلا الله



تأليف

محمد سلطان المعصومي الخجندي

المتوفى سنة ١٣٧٩هـ
رحمه الله

تحقيق

علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري





مفتاح الجنة

لا إله إلا الله

الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٨٩٨٥ / ٢٠٠٦م





٦ شارع عزيز فانوس منشية التحرير جسر السويس - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ جوال : ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

مفتاح الجنة

لا إله إلا الله

تأليف الإمام العلامة

محمد بن سلطان المعصومي الخجندي

تحقيق

علي بن حسن بن عبد الحميد

الحلبى الأثري




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدمة التحقيق]

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سِّيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

أمَّا بعد: فهذه رسالة مفيدة في العقيدة والتوحيد، وبيان الوجه الصحيح لهما، وذِكر ما خالفهما من مسائلَ كثيرة، وقعت بها العامة من الناس، فضلاً عن الخاصة منهم؛ أقدِّمُها في طبعتها الثانية هذه، بعد تعليق لطيف، وتَخريج شريف، وغير ذلك مما ستراه قريبًا في موضعه إن شاء الله.

ولقد طُبِعَ الكتابُ طبعتَه الأولَى على عَينِ المصنِّف -رحِمه الله تعالَى-، وفي حياته، وذلك ما بين عامي ١٣٦٣-١٣٧٤هـ، كما سيأتِي توضيحه.

وقصَّةُ وقوفي على هذا الكتاب النافع المبارك، أنَّني كنتُ ذات يومٍ في زيارة

بيت شيخِنا العلاَّمة المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- مع بعض الإخوة الأفاضل، وعند دخولنا مكتبته القيِّمة، بدأت أُقَلِّب محفوظاتها، وأفتِّش في ذخائرها، وبينما أنا كذلك وقفت -فيما وقفتُ عليه- على هذه الرسالة، وإذا على وَجه صفحتها الأولَى قد كُتب بالحبر الأزرق بِخطِّ المصنف -رحِمه الله-:

هديَّة من المؤلِّف تذكارًا إلى حضرة الأخ في الله الشيخ ناصر الدين الألباني الموقَّر ٢٢/ ١٢/ ١٣٧٤هـ، الطائف[1].

ثم استعرتُ الكتابَ من شيخنا -رحِمه الله- وعزمتُ على إعادة طبعه ليعمَّ نفعُهُ، وتنتشرَ فائدَتُهُ.

وأخيرًا:

فهذا عملي -أخي القارئ- بين يديك، فإن أصبتُ فمن توفيق الله لِي، وإن أخطأت فمن ضعفي وتقصيري، والحمد لله أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

وكتبه[2]

أبو الحارث

علي بن حسن بن علي

٧ربيع الآخر ١٤٠٦هـ

---

(١) وتاريخ انتهاء المصنف من تصنيف كتابه -كما في آخره- كان سنة (١٣٦٣هـ).

(٢) وكانت طبعتي الأُولى لهذه الرسالة قبل عشرين عامًا!

نسأل الله -تعالى- الثبات على الإيمان، وحُسنَ الختام.

لمحة عن حياة المصنف
- رحمه الله -

* هو أبو عبد الكريم، وأبو عبد الرحمن محمد سُلطان بن أبي عبد الله، مُحمد أُورون بن محمد مير سيِّد بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد اللطيف بن محمد بن معصوم، شهرته: المَعصومي الخُجندي.

* نسبته المعصومي: إلى جدِّه الأعلى محمد معصوم.

* ونسبته الخُجَندي: إلى بلدة خُجَندَة[1] من بلاد ما وراء النهر على شاطي سَيحون.

* وُلد في خُجَندة سنة (١٢٩٧هـ) في بيت دين وفضل.

* تعلَّم الملامح الأولَى في العلم على يد أبويه، ثم قرأ علوم العربية والفلسفة والمنطق والتوحيد على الشيخين: محمد عوض الخُجَندي، وعبد الرزاق المرغيناني البُخاري.

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٣٤٧)، ونقل في وصفها عن ابن الفقيه لرجل من أهلها:

ولـم أرَ بلـدةً بـإزاءِ شـرقٍ ... ولا غَربٍ بأَنزَهَ من خُجَنده

وصحَّفَ الحميريُّ في «الروض المعطار» (١٥٧) اسمَها إلى: جخندة، بتقديم الجيم على الخاء!

* ولـَمَّا بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة بدأت تظهر عليه علامات التحقيق، وأمارات العلوم، فاكتشف عن علم ودراية أغلاط الْمُقلدة وتناقضاتهم، فبدأ بإعلان ذلك جهارًا نَهارًا مِمَّا أثار عليه الْمُتعصِّبة، فضيَّقوا عليه تضييقًا بالغًا.

* نتيجة لِـمَا سَبَق اضطرَّ المصنف بعد بضع سنين إلى السفر مهاجرًا بدينه ودعوته إلى الحجاز، وذلك في شهر شوَّال سنة (١٣٢٣هـ)، ووصل إلى مكة في غرَّة شهر ذي الحجة من العام نفسه، فأدرك موسم الحج.

* وفي الحرمين الشريفين درس العلوم النبوية وقرأها على كبار المشايخ، مثل: الشيخ شعيب بن عبد الرحمن المغربي، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ عبد الله القَدومي، والشيخ أحمد البَرزَنجي، وغيرهم، وقد أجازوه جميعًا بِمرويَّاتهم.

* ثم سافر -بَعدُ- إلى دمشق الشام، وقابل مشايخها، مثل الشيخ بدر الدين الحَسَني، والشيخ أبي الخير بن عابدين وغيرهما.

* وواصل رحلته فسافر إلى بيروت ثم القدس، فمصر، وقابل أهل العلم في كلٍّ منها مفيدًا ومستفيدًا.

* ثم رجع إلَى أهله وبلاده، فعُيِّن فيها مُفتيًا للمحاكم الشرعية، وذلك سنة (١٣٢٨هـ).

* سُجن سنة (١٣٤٢هـ) إبَّان الانقلاب الشيوعي في روسيا، ثم نَجَّاه الله تعالى، وسُجن بعدها بسنتين فنجَّاه الله تعالَى أيضًا.

* ترك خُجَندة بعد ذلك وسافر إلى مَرغينان، وعُيِّن قاضيًا فيها، ولكن اشتدت عليه المحن، فَحُكِمَ عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، إلاَّ أنه فرَّ إلى الصِّين، وذلك سنة (١٣٤٧هـ) وأقام فيها بضع سنين.

* ومن الصِّين عاود الرجوع إلى مكة المشرَّفة، فوصلها في شهر ذي القعدة سنة (١٣٥٣هـ)، وعمل مدرسًا في المسجد الحرام، ودار الحديث المكيَّة.

* له تصانيفُ كثيرة [١]، منها:

١- هدية السلطان إلى قرَّاء القرآن.

٢- سند الإجازة لطالب الإفادة.

٣- رفع الالتباس في أمر الخضر وإلياس.

٤- المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية.

٥- حبل الشرع المتين.

وغيرها كثير [٢].

* توفي -رحِمه الله- نَحو سنة (١٣٧٩هـ).

* ترجم المصنِّف لنفسه في ملحق كتابه «**حكم الله الواحد الصمد في**

---

(١) ولقد أهدى عددًا منها باليد إلى شيخنا الألبانِي كاتبًا عليها الإهداء بخطه؛ مثل: هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان.

(٢) وقد أحصى وَلَدُ المؤلف -عبد الرحمن- أسماء مؤلفات والده في خاتمة كتابه: عقد الجوهر الثمين (٢٢٠-٢٢٨) فبلغت نَحو مئة.

حكم الطالب من الميت المدد» (٤٧-٩٦) تحت عنوان «مُختصر ترجمة حال محمد سلطان»، وفي مقدمة كتابه «حبل الشرع المتين» (١٤-١٦) المطبوع في المطبعة السلفية سنة (١٣٧٥هـ)، وذكر الأخ الكبير الشيخ محمد عيد عباسي -أيَّده الله- في «بدعة التعصب المذهبِي» (٢٧٤-٢٧٦) طرفًا من ترجمته نقلاً عن رسالة خطية من وجيه جُدَّة الشيخ محمد نصيف -رحمه الله-.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المصنف]

الحمد لله الذي جعل مفتاحَ (الجنة لا إله إلا الله)[١]، وشرط في مادَّتها الإخلاص واليقينَ إلى منتهاه، وجعل لهذا المفتاح أسنانًا معلومةً وسمَّى المجموع دينًا، وقد أكمل هذا الدينَ وأتمَّه تمامًا، فَمَن أَلحَقَ به ما لم يكن في عصر التنزيل فقد كَذَّب الله ورسولهَ وارتكبَ إثمًا كبيرًا، وقد خَسِرَ في الدارَين خُسرانًا مبينًا، فما ابتدعه مردودٌ عليه، وإن ظنَّه حسنًا وأحسنه صُنعًا، فيا خسارةَ المبتدعِ المغرورِ المفتون، الذي قد غرَّه هواه ونفسه، أو شيطانُه وشيخُه، فإنه قد ضيَّعَ عُمُرَهُ، فيا خسارة مَن هذا حالُه، فإنه سيُطرد عن حوض رسول الله ﷺ «الكوثر»[٢] ويقول

---

(١) سيأتي تعليق المصنف في بيان هذا وشرحه.

(٢) وردت تسميته في قوله ﷺ: **«الكوثر نَهر في الجنة حافتاه الذهب»** وهو حديث صحيح أخرجه أحمد (٥٩١٣)، والدارمي (٢/ ٣٣٧)، والترمذي (٣٣٥٨)، وابن ماجه (٤٣٣٤)، والبغوي (٤٣٤١) عن ابن عمر.

رسول الله ﷺ في حقهم: «إذن فسُحقًا سُحقًا»[١].

وميزان هذا المفتاح ومعيارهُ إنـما هو ما جاء به سيدنا مُحمدٌ رسولُ الله ﷺ، وهو كتابُ الله تعالى القرآن، وسُنَّةُ رسول الله الصحيحةُ الثابتةُ بالعيان في دواوين أهل العلم والعرفان.

وأما أهل البدعة فقد زادوا على ما جاء به رسولُ الله أشياء: عقيدةً وكمًّا وكيفًا، باستحسان[٢] عقولهم القاصرة؛ بل الفاسدة، أو قياساتهم[٢] الكاسدة الباطلة، فبعضهم كبَّر المفتاح وضخَّمه، وبعضهم زاده أسنانًا أو عوَّجها بِحيث صار المفتاحُ لا يوافق القُفلَ، فلا ينفتح القُفلُ ولا البابُ أصلاً، وبعضه قد ينفتح بغاية التعب والمعالجات الكثيرة، فلو أبقى المِفتاح والقفل على ما هو عليه لانفتح القُفلُ من أول الأمر، كما ورد في شأن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة دار السلام دخولاً أوليًّا بلا عتاب ولا حساب[٣].

ولكن المبتدعين سوَّلَت لهم أنفسهم، واعتقدوا كلَّ ما رأوه حسنًا دينًا وثوابًا، والحَالُ أن الدين ما يدان[٤] به الإنسان، ويطلب أجره من مالك يوم الدين،

---

(١) كما في رواية البخاري (١١/ ٤١٢)، ومسلم (٢٢٩٠)، وأحمد (٥/ ٣٣٣) عن سهل ابن سعد.

(٢) هُما اصطلاحان أصوليان، ينتهي استعمالهما في العبادات -غالبًا- بالإحداث في الشريعة، والابتداع في الدين، وتفصيل ذلك ينظر في موضعه، وسيشرح المصنف شيئًا قريبًا منه.

(٣) رواه البخاري (١١/ ٣٥٩)، ومسلم (٢١٦) عن أبي هريرة، وفي الباب عن سهل بن سعد، وأبي أمامة وغيرهما.

(٤) قال المصنف: أي: يُجازى.

والأجرُ والثوابُ عند مالك يوم الدين لا عند أحدٍ ممن سواه أصلاً.

وحيثُ ثبت أن الأمرَ هكذا، فليس لأحد أن يُدَيِّن دينًا، أو يُشَرِّعَ شرعًا، ويقولُ: هذا فرضٌ أو سنةٌ أو مستحبٌّ، أو له فضلٌ وثوابٌ، إلا إذا ثبت وصح عن رسول الله ﷺ[1]؛ لأن رسولَ الله لا ينطقُ عن هواه؛ بل عن وحي ربِّ العالمين، الذي هو مالك يوم الدين، فمن أثبت عبادةً أو طاعةً أو ذِكرًا لم ترد تلك العباداتُ أو الأذكارُ عن رسول الله ﷺ، ومع ذلك اعتقد أنَّ في ذلك أجرًا وثوابًا، فقد أتى بدعوى بلا برهان، وذا باطلٌ قطعًا، بل إنه شركٌ[2] أو بهتان؛ لأنه تشريعٌ بلا سلطان، كما هو غيرُ خفيٍّ على كل من آتاه الله تعالى عقلاً سليمًا وفهمًا مستقيمًا.

ولذا حذَّرَنا الله تعالى ورسولُه مُحمدٌ ﷺ وكذا خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم عن الابتداع في الدين، وأوعد المبتدعين وعيدًا شديدًا، عصمنا الله تعالى عن الشِّرك، وعن البدع في الدين[3].

---

(١) في هذا ردٌّ على ما يزعمه البعض من جواز الاستدلال بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، أو الترغيب والترهيب، وانظر رسالتي «**التعريف بأحكام العمل بالحديث الضعيف**» يسر الله إتمامها ونشرها.

(٢) إذا استحل ذلك معتقدًا لنفسه جواز حقِّ التشريع، أو كان على نوع من أنواع الكفر الأكبر المعروفة عند علماء أهل السنة.

(٣) وقد صُنِّفت كتبٌ كثيرة قديمًا وحديثًا في بيان البدع والردِّ عليها، منها: «**البدع والنهي عنها**»، لابن وضاح، و«الحوادث والبدع»، للطُّرطوشي، و«الاعتصام»، للشاطبي، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث»، لأبي شامة. وغيرها كثير.

ولي في ذلك كتابٌ بعنوان: «**علم أصول البدع**»، وهو مطبوع متداول.

(١)

سبب دخول البدع والشرك في الدين

اعلم أنَّ سبب دخول البدع في الدين من وجهين:

أحدهُما: القياس وحُسنُ الظنِّ: فكثيرٌ من الصالحين حسَّنوا ظنَّهم في أشياء، فاخترعوا أشياء، وقاسوا أشياء بأشياء والحالُ أن القياسَ لا مدخل له في الأمور الدينية التعبدية؛ لأنَّ مبنَى العبادات على الاتِّباع لا على الابتداع، فأخطئوا في قياسِهم وحُسن ظنِّهم، وهم معذورون في ذلك لِحُسن قصدهم[1] والمَظنونُ أنهم إذا نُبِّهوا على ذلك رجعوا وتابوا، كما هو مرويٌّ عن كثير منهم، كما قاسوا الله تعالى بالملوك، وقاسوا ما عند الله بِمَا عند الملوك، فقالوا بالوسائل والشفعاء، فأخطئوا خطأً فاحشًا[2].

ثم تَبِعَهُم من جاءوا بعدَهم فزادوا الطِّين بلَّةً، وأكثرهم غيرُ واقفين على ما جاء به رسول الله ﷺ، وغيرُ عالمين بِمعاني القرآن ومقاصده، وكذا الأحاديث الصحيحة، وغالبُهم لا يقدر أن يُمَيِّزَ بين الأحاديث الصحيحة الثابتة، وبين

(١) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المُستقيم» (ص ٢٩٨).

(٢) وقد شرح ذلك ووضَّحه شيخنا العلامة الألباني في «التوسل» (صفحة: ١٣٤) فليراجع.

الضعيف بل الموضوع، فيأخذون بالضعيف والموضوع وهم لا يشعرون[١].

وإنـما كَثُرَ مثلُ هذا في المسلمين لأن كثيرًا من المشركين والمجوس من البراهمة والهنود والبوذيين، أو اليهود والنصارى دخلوا في دين الإسلام أفواجًا، وبعضهم كانوا علماءَ ماهرين في علوم دينهم، وحكماء متفلسفين[٢].

وكانوا إنـما علموا من الإسلام بعض الظواهر، كـ«بُنِي الإسلامُ على خَمس» إلخ[٣]، وليس لهم علم بِحقيقة ما جاء به رسولُ الله ﷺ، فخلطوا علومَهم الأولَى بالعلوم الإسلامية، فتفلسفوا في الأمور الدينية فمزجوا ذلك بِهذا، وهم لا يشعرون بقبحِ ما فعلوا لقلة علمهم بمقاصد الشريعة بالحقيقة، فجاء مَن بعدهم وأخذوا بالممزوج، وشاع ذلك وذاع، إلى أن آل الأمر إلى ما ترى من الشِّركيّات والبدعات والضلالات والترَّهات وسفاسف الخيالات،

(١) والمصنف -رحمه الله- وقع في ذلك نفسه -كما سيأتي بيانه تعليقًا- ومنشأ ذلك اعتماده على تصحيح بعض من تساهل من المَحدثين -رحِمهم الله تعالى- فاقتضى التنبيه!

(٢) والفلسفة داءٌ عضال أفسد عقائدَ كثير من المتدينين، الذين تعلَّموا الفلسفة -زعموا- حفاظًا على دينهم وحِماية له.

(٣) لعله يُشير إلى الشيخ أبي الهُدي الصَّيادي، إذ له كتاب (ضوء الشمس في قوله ﷺ: «بُنِي الإسلام على خِمس») كما في «الأعلام» (٦/ ٩٤)، وللمصنف -رحِمه الله- مع أبي الهُدى المذكور جولة ذكرها في: «حكم الله الواحد الصمد» (ص ٥٤-٥٥) فلعلها سببُ هذه الإشارة هنا.

أما الحديث: فأخرجه البخاري (١/ ٤٩)، ومسلم (١/ ٤٥) عن ابن عمر.

كمرابطة صورة الشيخ حين الذكر والمراقبة[1]، والتوجه إلى أرواح الموتى، والعكوف على قبورهم، والنذر لهم، والاستمداد منهم، وغير ذلك من الترَّهات، فتنبه.

والوجه الثاني[2]: أن كثيرًا من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمُشركين والمَجوس وغيرهم لَـمَّا رأوا شوكةَ الإسلام ودولةَ أهله قد زادت قوةً ونُموًّا وظهورًا وشيوعًا، وعجزوًا عن المقاومة الظاهرية، أدخلوا أنفسهم في الإسلام، وتزيَّوا بزيِّ المسلمين، وزيادةً على ذلك أظهروا الزهدَ والتقشف والعلم والورعَ والتقوى، وانتشروا في بلاد المسلمين وساكنوهم، فتمكنوا من أن يُدخلوا في المسلمين ما أمكنهم من الشِّركيات والضلالات، وسموها طريقة وحقيقة[3] وتصوفًا وباطنًا، كاللطائف الخمس[4] ومرابطة صورة الشيخ المُربي، والتوجُّه إلى قبره، والنذر له والاستمداد منه، وأنه يقدر على ما لا يقدر عليه الأحياء، لتجرد روحه عن هذا الجسد الفانِي، فصار كالسيف الصارم المُشهَر من الغلاف[5]، وأَنَّ لله تعالى عبادًا من البشر، فوَّض الله تعالى إليهم أمور عباده

(١) وممن تأثر بذلك من المعاصرين الشيخُ حسن البنا، كما في: «مجموعة رسائله» (ص ٣٧٧) فتأمل.

(٢) من أسباب دخول البدع في الدين.

(٣) وتأثر بذلك أيضًا الشيخ حسن البنا -رحِمه الله- كما في «مجموعة رسائله»، (٢٧٤)، ولقد شرح كلامه في ذلك الشيخ سعيد حوى في «تربيتنا الروحية»، فزاد الطين بلة!!!

(٤) من اصطلاحات الصوفية، وهي: القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى! كما سيشرحه المصنف قريبًا.

(٥) المرفوع من بيته.

وبلاده، وهم يسمون بالأبدال والأقطاب والنُّجباء والأغواث[١] وأمثالهم، وهم رجال الغيب، فمن لاذ بهم واستغاث بهم نال مطالبه، وهم يوصلونه إلى أعلى درجات الكمال والجمال والجلال، ومَن أنكرهم أو أنكر ما يصدرُ عنهم فهو من المحرومين الهالكين، وأنه لا يُمكن لأحد أن يصل إلى الله تعالى إلا بواسطتهم، وتسليم الأمور إليهم، وهم كوزراء الملوك، ومُقرَّبي السلاطين، لا يُمكن لأحدٍ أن يصلَ إلى الملك أو يبلغ عريضته إليه إلا بواسطتهم فقَبِلَ الناسُ هذه الوساوسَ، فشاعت وذاعت بين الخليقة، فحصَّل الشيطانُ مقصده الأعظم، ألا وهو الشركُ الأكبرُ الذي لا يغفره الله تعالى أصلاً.

وأمثلة ذلك كثيرةٌ، قد بينها العلماء المُحققون في كتبهم، فعليك أيها الطالب للحق بِمطالعة كتب العلماء المُحَقِّقين[٢]، وتفهُّم ما فيها، واستعمال العقل، وترك التقليد والتعصب لمذهب أو فرقة أو طريقة، فإن التقليد[٣] لغير المعصوم صادر عن عمى البصيرة، ولا تغتر بترَّهات هؤلاء وأوهامهم؛ بل عليك الأخذ والعملَ بكل ما جاء به محمدٌ رسول الله ﷺ، فلن تَهلِكَ أبدًا، ولن تضلَّ سرمدًا[٤] بِحول الله وقوته.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) هي مراتب الولاية عند الصوفية.

(٢) كتصانيف شيخي الإسلام: ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم –رحمهما الله–.

(٣) انظر: «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين؟» للمصنف –رحمه الله–.

(٤) السرمد: هو الدائم الذي لا ينقطع.

(٢)

اعلم يا أخي في الله ﷻ، أنَّ أسنانَ المفتاح قد كَمُلَت، وبُيِّنَ عددُها وقدرُها ووزنُها وشكلُها كمًّا وكيفًا بواسطة مَن أُنزِلَ عليه الكتاب، وهو سيدنا محمدٌ رسول الله ﷺ، فلا يجوز لأحد بِحال من الأحوال أن يزيد على ما جاء به النَّبي مُحَمَّد ﷺ، ومَن زاد شيئًا فقد تعدى وظلم، فلهذا قد ورد التهديدُ الشديدُ والوعيد الأكيد على من يزيد في الدين شيئًا، وإنه قد أخبر النبي ﷺ أنه مردود عليه[١]، ولا شك أن خيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار، كما في مقدمة «صحيح مسلم»[٢].

---

(١) وذلك قوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»** أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأحمد (٦/ ٧٣ و٢٧٠)، وأبو داود (٤٥٨٢)، وابن ماجه (١٤)، والدارقطني (٤/ ٢٢٤ و٢٢٥ و٢٢٧)، والبيهقي (١٠/ ١١٩) عن عائشة.

(٢) ليس هو في مقدمته؛ إنما رواه في «صحيحه» (٣/ ١١) إلى قوله: **«وكل مُحدثة بدعة»** عن جابر. وأخرجه عنه أحمد (٣/ ٣٧١)، والبيهقي في «سننه» (٣/ ٢١٤) بنحوه، وزاد النسائي (١/ ٢٣٤): «وكل ضلالة في النار»، وإسناده صحيح، وانظر: «خطبة الحاجة» (ص ٢٦) لشيخنا الألباني؛ ففيه زيادة تخريج وبيان.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يكون أحدكم مؤمنًا حتَّى يكون هواه تبعًا لِمَا جئت به»**[١].

وقال ﷺ: **«تركتُ فيكم أمرينِ لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي فعضوا عليها بالنواجذ»**[٢].

وقد قال ﷺ: **«مَن يَعِش منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم**

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٢)، وابن الجوزي في: «ذم الهوى» (ص ١٨) عن عبد الله بن عمرو، بسند ضعيف، فيه ثلاث علل ذكرها الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٦٤) وهي:
١- ضعف نعيم بن حماد.
٢- الاضطراب.
٣- الانقطاع.

(٢) رواه دون قوله: «فعضوا عليها بالنواجذ»: الحاكم (١/ ٩٣) ومن طريقه البيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٤)، ورواه معضلاً مالك في «الموطأ» (٤/ ٢٤٦ -زرقاني) وأخرجه بلفظه: ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١١، ٢٤)، وفيه كثير بن عبد الله، وهو شديد الضعف، وله شاهد من حديث أنس، رواه أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (ص ٢٧٩- مخطوطة الظاهرية) كما قال شيخنا في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ط).

ومُحدَثاتِ الأمور، فإنَّها ضلالةٌ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[١].

وقال ﷺ: **«ستفترق أمتِي ثلاثًا وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم على ما أنا عليه وأصحابِي»**[٢].

(١) هذه رواية بالمعنى للحديث الذي رواه أحمد (٤/ ١٢٦ و١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٥٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) و(٤٣) و(٤٤)، والدارمي (١/ ٤٤)، والحاكم (١/ ٩٥)، والبيهقي (١٠/ ١١٤)، وابن حبان (١٠٢- موارد)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٠٥)، عن العرباض بن سارية بسند صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (١/ ٢٥٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٦٢) عن أنس، وفي إسناده عبد الله بن سفيان الخزاعي لا يتابع على حديثه، وذكره ابن حبان في «الثقات»، كما قال الهيثمي في «المَجمع» (١/ ١٨٩) ورواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩)، وابن وضاح (٨٥)، والآجري في «الشريعة» (١٥ و١٦) وفي إسناده عبد الرحمن الإفريقي وهو ضعيف، وله طريق ثالثة عند الطبراني في «الكبير» كما في «المَجمع» (٧/ ٢٥٩) وقال الهيثمي: «فيه كثير بن مروان، وهو ضعيف جدًّا»، فالحديث بالطريقين الأولين حسن إن شاء الله، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٣) و(٢٠٤).

قلت: على ضوء ما تقدم تعرف قيمة ما قاله الحافظ ابن حزم في «رسالة الإمامة» (٣/ ٢١٣) ضمن «مجموعة رسائله»، حيث سئل عن هذا الحديث؛ فأجاب: «فليس هكذا الحديث.. وأعلى ما في هذا الحديث حديث حدثنيه أبو عمر .. » ثم أورد حديث عوف بن مالك مرفوعًا: **«تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام، ويحرمون الحلال»**.

ثم علق قائلاً: «فهذا أصح ما في هذا الباب، وأنقاها سندًا، وأما سائر الأحاديث الواردة فيه فمعلولة جدًّا لم يدخلها أحد من أهل الانتقاء في المسندات فاعلمه».

=

وغيرها من الآيات والأحاديث الصِّحاح والحِسَان.

ومِمَّا يوضح الحقيقةَ قولُه تعالى في سورة فصِّلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ﴾ [فصلت:٣٠]. الآية؛ أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم، وتلا عُمَرُ ﷺ هذه الآية على المنبر: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.

[ثم قال:] والله لله بطاعته، ولم يرُوغوا رَوَغان الثعالب؛ بل أخلصوا له الدين والعمل، والتفصيل في التفاسير(١)، وكذا في سورة الأحقاف(٢).

وفي سورة الشورى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] الآية.

=

قلت: وهذا الحديث رواه الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٣٠٧) وفي «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٧٩)، والبيهقي في «المدخل» (رقم: ٢٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٥٠)، وابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١٦٣)، والبزار (١٧٢-زوائده)، والحاكم (٤/ ٤٣٠)، وقال البيهقي: تفرد به نعيم بن حماد، وسرقه منه جماعة من الضعفاء وهو منكر، وضعفه الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٣٠٩) بزيادة بيان.

قلت: قارن هذا التحقيق بما ذكره الدكتور إحسان عباس -رحمه الله- في تعليقه على «رسالة الإمامة» المتقدم ذكرها!!

(١) أورد الخبر السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٢- ط٢) ونسبه لابن المبارك، وسعيد ابن منصور، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حُميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر.

(٢) آية: ١٣.

وإلى أن قال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[الشورى:١٥]. الآية. أي: استقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله ﷻ، ولا تتبع أهواء المشركين فيما اختلقوه وأحدثوه ... إلخ.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«صلوا كما رأيتموني أُصلي»**[١] و: **«خذوا عنِّي مناسككم»**[٢].

وفي سورة الزُّخرُف: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ وَإِنَّهُۥ[٣] لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾[الزخرف:٤٣-٤٤]. أي: عن القرآن، وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له، وعما يلزمكم من القيام بِحقِّه.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١١٨)، والشافعي (١/ ١٢٩)، والبغوي (٤٣٢) وغيرهم عن مالك بن الحويرث.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧)، وأبو داود (١٩٧٠)، والنسائي (٥/ ٢٧٠) عن جابر.

(٣) قال المصنف: أي: القرآن.

(٣)

قال الفقير إلى رحمة ربه القدير مُحمد سلطان المعصومي الخجندي: وهأنا أذكرُ لك الآن ما وردَ من الأحاديث والآثار الصِّحاح من أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله:

قال إمام المُحدثين مُحمد بن إسماعيل البخاري[١] في كتاب الجنائز من «صحيحه»[٢] قيل لوهب بن مُنَبِّه -رحِمه الله-: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى؛ ولكن ليس مفتاحٌ إلا له أسنانٌ، فإن جئتَ بِمفتاح له أسنانٌ فُتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**». وكذا رواه أبو داود[٣].

---

(١) انظر ترجمته في كتاب: «ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري» للإمام النووي - بتحقيقي.

(٢) (٣/ ١٠٩- فتح الباري)، وأورده الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٤٥٣)، وذكر أن البخاري وصله في «التاريخ » (١/ ٩٥)، وأبا نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦) وسنده صحيح.

(٣) برقم (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣)، والحاكم (١/ ٣٦١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» =

وذكر أبو نعيم الأصفهاني في كتابه «أحوال الموحدين»[١] أن أسنان هذا المفتاح هي الطاعاتُ الواجبةُ من القيام بطاعة الله تعالى وتأديتها، والمفارقةُ لمعاصي الله تعالى ومُجانبتها.

وعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتانِي آت من ربِّي فأخبرنِي -أو قال: بشرنِي- أنَّ من مات من أمتي لا يشركُ بالله شيئًا دخل الجنة. قلت: وإن زنَى وإن سرق؟ قال: وإن زنَى وإن سرق**»[٢].

وفي رواية: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»[٣].

قال الإمام البخاري في كتاب الإيمان من «صحيحه» بسنده عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بُنِي الإسلام على خَمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**». وكذا رواه مسلم وأصحاب السنن والمسانيد[٤].

=

(٩٩)، وإسناده حسن، وله شاهد عن أبي هريرة عند ابن حبان (٧١٩- موارد) وانظر: «الفتوحات الربانية» (٤/ ١٠٩، ١١٠).

(١) لـم يذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون»، ومثله الدكتور محمد لطفي الصباغ في رسالته: «أبو نعيم حياته وكتابه الحلية» ضمن مؤلفاته فلينظر.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٥٢)، ومسلم (٩٤)، والترمذي (٣/ ٢٦٩)، وأحمد (٥/ ١٥٢).

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٢٨٣)، ومسلم (١/ ٩٥).

(٤) تقدم تخريجه، وأزيد هنا فأقول: ورواه النسائي (٢/ ٢٦٨)، والترمذي (٢/ ١٠١)، والبيهقي (٤/ ١٩٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣٢٠٣)، والبغوي (٦).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«الإيمان بضعٌ وستون شعبة، والحياءُ شعبة من الإيمان»**[١].

وفي رواية مسلم[٢]: **«بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان»**.

وكتب عُمر بن عبد العزيز ﷺ إلى عدي بن عدي[٣]: إن للإيمان فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمُت فما أنا على صُحبتكم بِحريص.

وقد روى البخاري[٤] عن أبي هريرة ﷺ، ومسلمٌ عن عمر بن الخطاب ﷺ قالا: «كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأتاه جبريلُ ﷺ فقال: **ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث»**.

وفي رواية مسلم[٥]: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم**

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٨ و٤٩).

(٢) برقم (٣٥) وليس فيه قوله: «فمن استكملها ...» إلخ، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٣٦٩) و«جامع الأصول» (١/ ٢٣٥).

(٣) ترجمته في «طبقات خليفة» (ص ٣١٩)، وعلق طرفًا من هذا الخبر البخاري في «صحيحه» (١/ ٤٥- فتح) ووصله ابن أبي شيبة في «الإيمان» (ص ٤٥) بسند صحيح.

(٤) في صحيحه (١/ ١٠٦)، ومسلم أيضًا برقم (٩).

(٥) برقم (٨).

الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتَحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لَم تكن تراه فإنه يراك». الحديث صحيح، معروفٌ ومشهورٌ.

وقد روى مسلم[1] بسنده عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، قل لِي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ قال: **«قل: آمنت بالله ثُم استقم»**.

وروى الإمام أحمد في مسنده[2]، عن معاذ بن جبل ﷺ قال لِي رسول الله ﷺ: **«مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»**.

وقال رسول الله ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»** متفق عليه[3].

---

(١) برقم (٣٨)، وأخرجه أحمد (٣/ ٤١٤) و(٤/ ٣٨٤)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والترمذي (٢٥٢٢)، وابن حبان (٢٥٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٣٩٦).

(٢) (٥/ ٢٤٢)، والبزار (٥/ ٢٤٢- زوائده)، والبيهقي في «الشعب» كما في «التغليق» (٢/ ٤٥٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦): رواه أحمد والبزار، وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة، وهذا منها، قلت: وشهر أيضًا ضعفوه.

(٣) رواه البخاري (١٣/ ٣٠٠)، ومسلم (٣٠).

كذا في «مشكاة المصابيح»[١].

قال الشارح مُلاَّ عليِّ القاري في «مرقاة المفاتيح»[٢]: يعنِي من قال هذه الكلمة وأدَّى حقها وفرائضها، فيكون الامتثال والانتهاء مندرجين تَحت الشهادتين، وقيل: إن ذلك لِمن قالَها عند التوبة، ومات على ذلك قبل أن يتمكن من الإتيان بفرض آخر، وهذا اختيار الإمام مُحمد بن إسمَاعيل البخاري -رحِمه الله تعالَى-.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) برقم (٤٠) و(٢٥) من الطبعة الشامية بتحقيق شيخنا الألباني.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٩٧).

قال العبد الضعيفُ مُحمد سلطان المعصومي -حفظه الله تعالَى-: إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله، كلمةٌ جامعةٌ كاملةٌ مُكَمَّلةٌ لا يُزاد فيها ولا يُنقص، ومضمونُها إنما هو ما جاء به رسول الله ﷺ من دين الإسلام، وهذا الدينُ كاملٌ ومكمَّلٌ كما أخبر الله تعالى عن ذلك، والنبي ﷺ واقفًا بعرفة في حجة الوداع يوم الجُمعة [وذلك بقوله سبحانه]: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] الآية[1].

فما كان دينًا في ذلك اليوم فهو الدينُ إلى يوم القيامة، وما ليس بدين في ذلك اليوم فليس بدين أبدًا، فلهذا صارت البدعةُ في الدين ضلالةً ومردودةً، والمبتدع مفتر على ربه ومكذبٌ إياه، وهذا هو معنَى قوله ﷺ: «**قل آمنت بالله، ثُم استقم**»[2]. وهذا هو معنَى لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، فتنبه!

---

[1] وأخرج الخبر: البخاري (١/ ٩٧)، ومسلم (٣٠١٧)، والترمذي (٣٠٤٦)، والنسائي (٨/ ١١٤) و(٥/ ٢٥١)، وأحمد (٢٧٢)، والطبري (١١٠٩٤)، وأورده السيوطي في «الدر» (٣/ ١٧ - ط٢) وزاد نسبته للحميدي، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن حبان، والبيهقي.

[2] تقدم تخريجه (ص٢٦).

وقد روى الشيخان عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما بعد: فإنَّ خير الحَديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ مُحمد، وشر الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ بدعة ضلالة**»[٢].

وحيثُ إن المِفتاح حدُّه[٣] معلوم، وقدرُهُ مفهومٌ، وأسنانُه مَحدودةٌ، وهو كاملٌ ومكمَّل، نهى الله ﷻ عن الغلو في الدين[٤]، وأمر بالاقتصاد والاقتفاء.

وقد ورد عن النبي ﷺ ما يشرحُ ويؤيد ما قلناه، وهو ما رواه الشيخان[٥]، عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهطٍ إِلَى أزواج النبِي ﷺ يسألون عن عبادة النَّبِي ﷺ؟ فلما أُخبروا بها كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: أين نَحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدُهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا.

وقال الآخر: أنا أصوم النهار أبدًا ولا أفطر.

---

(١) قال المصنف: أي: مردود. قلت: وقد تقدم تخريجه (ص١٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٨).

(٣) أي: تعريفه.

(٤) كما في قوله ﷺ: «**إياكم والغلوَّ في الدين**» وهو حديث صحيح أخرجه النسائي (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٢٠٩)، وأحمد (١/ ٢١٥ و٣٤٧)، وابن حبان (١٠١١- موارد)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٧)، والحاكم (١/ ٤٤٦)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، وابن خزيمة (٢٨٦٧) عن ابن عباس.

(٥) البخاري (١١/ ٤)، ومسلم (١٤٠١)، والنسائي (٦/ ٦٠).

وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء النبي ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنَّتي فليس منِّي**».

وفي حديث العِرباض بن سارية -رضي الله تعالى عنه-، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من يعش منكم بعدي فسيري اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تَمسكوا بِها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كل مُحدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتِي كما أتى على بنِي إسرائيل حذو النعل بالنعل، [حَتَّى إن كان منهم من أتى أمَّه علانية لكان في أمتِي من يصنع ذلك] وإن بنِي إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتِي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلاَّ ملة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابِي**». رواه الترمذي[2].

وعن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه مرسلاً قال[3]: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٨).

(٢) تقدم تخريجه، والقطعة الأولى: «حتَّى إن .... ذلك» لها شاهد عند الدولابِي (٢/ ٣٠)، وابن نصر في «السنة» (١٣)، والحاكم (٤/ ٤٥٥)، بسند حسن، وانظر: «صحيح الجامع» رقم (٥٢١٩).

(٣) كذا، والجادة أن يقول: معضلاً، إذ الإرسال ما كان السقط فيه من فوق التابعي كما قيل:
=

«تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بِهما: كتابَ الله وسنة رسوله». رواه في «الموطأ»[(١)] .

وروى أبو داود والترمذي[(٢)] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**.

وفي رواية الترمذي: **«فقد استكمل إيمانه»**.

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلُّ أمتِي يدخلون الجنة إلا من أَبَى. قيل: ومَن أَبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصانِي فقد أَبَى»**. رواه البخاري[(٣)] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم**

=

ومرسل من فوق تابع سقط ....

أما المعضل، فهو كما قيل:

ومعضل من راويين خالِي فصاعدًا لكن مع التوالِي

قلت: وانظر رسالتي: «التعليقات الأثرية» (ص ٢٣ و٢٦).

(١) تقدم تخريجه (ص١٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣) و(٧٧٣٧) و(٧٧٣٨)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٧٨)، والبغوي (١٣/ ٥٤)، عن أبي أمامة بسند حسن.

ورواه الترمذي (٢٥٢١)، والحاكم (٢/ ١٦٤)، وأحمد (٣/ ٤٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٨٨)، عن معاذ بن أنس وفيه ضعف، ويشهد له حديث أبي أمامة.

(٣) (٩/ ١١٤)، وعنه ابن حزم في «الأحكام» (٣/ ٢٧٠)، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٦١)، والحاكم (١/ ٥٥).

حتى يكون هواه تبعًا لِـمَا جئت به». رواه في «شرح السنة»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله، مُخلصًا قطُّ إلا فتحت له أبوابُ السماء حتَّى يُفضي إلَى العرش ما اجتنب الكبائر»**. رواه الترمذي[2].

قال المعصومي: فقد شرط لقُبول هذه الكلمة ونفعها عند الله تعالى كونَ القائل مُخلصًا ومعتقدًا لألوهية ربه، وأن يَجتنب الكبائرَ كلها، فتدبر وتذكَّر وتنبَّه، -وفقني الله تعالى وإياك لمرضاته-.

وعن عِمران بن حُصين ﷺ قال: قال النَّبِي ﷺ لأبي: **«يا حصين، كم تعبد اليوم إلـهًا؟** قال أبي: سبعةً، ستًّا في الأرض وواحدًا في السماء. قال: **فأيُّهم تعدّ لرغبتك ورهبتك؟** قال: الذي في السماء. قال: **يا حصين، أما إنك لو أسلمتَ علمتك كلمتين تنفعانك**. قال: فلما أسلم حُصينٌ قال: يا رسول الله، علِّمنِي الكلمتين اللتين وعدتنِي. فقال: **قل: اللهم أهمني رشدي وأعذنِي من شرِّ نفسي»**. رواه الترمذي[3].

---

(١) تقدم تَخريجه (ص١٩).

(٢) برقم (٣٥٩٠) وحسنه، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» -كما في «تُحفة الأشراف» (١٠/ ٩٦)- والخطيب في «تاريخه» (١١/ ٣٩٤) عن أبي هريرة، وإسناده حسن إن شاء الله كما جزم به شيخنا -رحِمه الله- في «صحيح الجامع» (٥٥٢٤).

(٣) برقم (٣٥٤٧٩)، ورواه البخاري في «تاريخه» (٢/ ١١) والطبرانِي في «الكبير» (١٨/ ١٧٤)، وفيه شبيب بن شيبة، وهو صدوق يهم، والحَسن مدلس وقد عنعن، وجود =

وذكره الخطيب في «مشكاة المصابيح»[1].

قال الطيبي[2]: قيل: تلك الآلهةُ هي يغوثُ، ويعوق، ونسر، واللات والعزى ومناة، وهذه الأسماء، هي أسماء رجال صالِحِين[3]، فعظَّمهم أتباعهم حتى جعلوهم أصنامهم وعبدوهم، فما نفعهم اعترافهم بالإله الذي في السماء.

* * * * *

إسناده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٦/ ٣٨٤) في ترجمة حصين، ورواه أحمد (٤/ ٤٤٤) وابن حبان (٢٤٣١) عن حُصين مطولاً، والنسائي في «الكبرى» كما في «تُحفة الأشراف» (٣/ ٦٨) من طريق أُخرى وصححه الحافظ ابن حجر في ترجمة حصين من «الإصابة» (٢/ ٢٥٧) فالحديث صحيح إن شاء الله.

(١) برقم (٢٤٧٦).

(٢) أحد شُرَّاح «المشكاة» توفي سنة(٧٤٣ هـ) ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢/ ١٥٦)، و«البدر الطالع» (١/ ٢٢٩) وشرحه لـ«المشكاة» اسمه «الكاشف عن حقائق السنن» منه عدة نسخ خطية أجودها نسخة مكتبة أحمد الثالث في إستانبول برقم (٢٩٤٨-٢٩٥٣) بستة مُجلدات، وقد طُبع قريبًا مرَّتين.

(٣) كما أخرجه البخاري (٨/ ١١) عن ابن عباس، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٣- ط٢) وزاد نسبته لابن المنذر، وابن مردويه.

(٥)

قال المعصومي: وكذلك مثلهم الذين يُعظّمون مشهد كربلاء، وحسين ابن علي رضي الله عنهما، أو قبر عبد القادر الجيلانِي، أو قبر معين الدين الجِشتِي في أَجمير الهند، أو قبر علي رضي الله عنه في بَلخ، أو قبر بهاء الدين النقشبندي في بُخارى، أو قبر قَثم بن عباس رضي الله عنهما في سَمَرقَند، أو قبر أحمد اليسوي في تُركستان، أو قبر مُصلح الدين في خُجَند، أو قبر آفاق خواجة في كاشَغر، أو قبر مُحيي الدين بن عربِي[١] في دمشق، أو مشهد رأس الحُسين[٢] وقبر زينب في القاهرة، أو قبر أحمد البدوي في طَنطا، أو قبر جلال الدين الرومي في قونية، أو غيرها من القبور التي يعظِّمونها ويعبدونها، وينذرون لها، ويتوجهون إليها[٣].

(١) انظر: رسالة «ابن عربي: حياته وأفكاره». لتقي الدين الفاسي بتحقيقي، ومقدمتِي لكتاب «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار» لابن شيخ الحزّامين.

(٢) ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- رسالة مفردة في «رأس الحسين» وهي مطبوعة.

(٣) وفي بلادنا الأردن يعظم بعض الجهلة والعوام مثل هذه القبور بدعوى أنها للأولياء والصالحين، وليس كذلك فحسب؛ بل إنهم يستغيثون بهم أكثر مما يستغيثون بالله العظيم ﷻ، ومن ذلك مثلاً ما كان يفعله بعضهم في بلدة العقبة عندنا بوليٍّ لهم سموه «الولي العقباوي» إذ له قبر كبير مشهور ذو زينة عظيمة، والناس هناك لهم اعتقاد كبير =

والظنُّ الغالبُ أن هؤلاء رجالٌ صالِحون من هذه الأمة، فغَلَوا في محبَّتهم حَتَّى عبدوهم، وهم غيرُ راضين بذلك ألبتة؛ لأنَّهم رجالٌ مسلمون وصالحونَ -رحِمهم الله تعالَى-، فصارت كلُّ هذه القبور كالتي ذكرها الله تعالى في كتابه.

فلا يكون إيمانُ العبد صحيحًا حتى يكفرَ بهذه كلها، ويؤمنَ بالله وحده، وهذا هو معنَى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وهذا هو معَنى لا إله إلا الله، فتنفي الآلهة كلَّها من كلِّ الوجوه، وتُثبت الإله الحقَّ الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولو يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فهذا التوحيدُ الخالصُ إنَّما هو مفتاحُ الجنة بلا ريب ولا شُبهة، فتفكر وتدبر قصة اللات والعزى ويغوث ويعوق وغيرها، وراجع التفاسير المعتبرة وكتب الأحاديث الصحاح [1]، وأعمل عقلَكَ تظهر لك الحقيقةُ وينكشف الغطاءُ، فتعرف معنَى لا إله إلا الله كما هو، وبفضل الله تعالى وهدايته وتوفيقه.

=

به، مما جعلهم ينسجون له القصص والحكايات الخرافية، وهم -عند الشدائد- يتركون الله العلي الأعلى، ويتوجهون -جهلاً وغباءً- طالبين العون والمدد من هذا «الولي العقباوي» فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قلت: ثم تبين أنَّ هذا القبر (!) لا يحوي في حفرته إلا كنوزًا وجواهر؛ وذلك في قصةٍ طريفةٍ تَمَّ فيها احتيالٌ عجيبٌ مِن قِبَل بعض الغُرَباء!!

ثم هُدم المسجد كاملاً، ولم يَبقَ منه إلا مئذنتُه!!

(١) تقدم بيان شيء من ذلك تعليقًا.

فقائل: لا إله إلا الله، يَجبُ عليه أن يستمرَّ عليه وعلى موجبه، وألاَّ يُبطله بما ينافيه من الشرك، واتِّخاذ الأنداد، واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله، وإلا بطل ولا تبقى له منفعة، كما تبطُلُ سائرُ العبادات بالرياء ونَحوه، كما قال الله تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤] الآية.

فأخبر أن صدقَةَ المُرائي والمنَّان باطلةٌ لم يبق فيها منفعةٌ له، وكذا قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [محمد:٣٣].

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [المائدة:٥].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [النور:٣٩].

فلابد من الاستمرار على التوحيد، وعلى كل ما يقتضيه التوحيدُ، ولابد من الكفر بالطواغيت وكلِّ آلهةٍ دون الله كما لا يَخفى، فمن يقول: لا إله إلا الله، ثم يقول: إن الأرواح تتصرف وتُمِدُّ، أو يدعو غير الله، أو ينذر لغير الله، أو يخاف غير الله، أو يرجو غير الله غيبًا، فقد أبطل قوله: لا إله إلا الله؛ بل أشرك[1] بالله شركًا جليًّا لا يغفره الله ﷻ، فتنبه.

والأنبياءُ -عليهم الصلواتُ والتسليمات- قد أمرونا أن نؤمن بما أتوا به،

---

[1] إذا قاله بعد بيان الحجة له، وإقامتها عليه، ومعرفة ما هو فيه من باطل، أما إذا فعل ذلك جهلاً، فإنه يأثَم على تقصيره في طلب العلم، ولا يعد مشركًا، وانظر: رسالة «سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين ...» للأخ الشيخ السيد بن سعد الدين الغباشي، وانظر ما سيأتِي من كلام المصنف وتعليقي عليه (ص ٧٢، ٧٣).

وأن نقتدي بهم وبهداهم، قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام:٩٠].

ومحمد ﷺ خاتُم النبيين لا نبيَّ بعده، ولم يبق طريقٌ إلى الله تعالى إلا اتباعُ مُحمد ﷺ، فما أَمَرَ به من العبادات أمرَ إيجابٍ أو استحبابٍ فهو مشروع ومرغوبٌ فيه، وما لم يأمر به ولم يفعله فلا يقال: إن هذا مستحب، أو مشروع إلا بدليل شرعي، ولا يَجوز أن تثبت شريعةٌ بِحديثٍ ضعيف فضلاً عن منكر، أو موضوع [(١)] أو كشفٍ أو إلهامٍ أو نوم أو خيال، أو آراء الرجال؛ لأن الثواب عند الله، ولا يعلمُ ما عند الله، وأن في الأمر الفلانِي ثوابًا إلا بإعلام الله، وذلك لا يكونُ إلا بواسطة محمد رسول الله ﷺ [(٢)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: التعليق المتقدم (ص١٣).

(٢) ووساطة النبي ﷺ إنما تكون في حياته فقط وبتبليغ الرسالة حَسبُ.

(٦)

وَاعلَم أنَّ لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقةُ بين الكفر والإسلام، وهي كلمةُ التقوى التي ألزمهم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦]. وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم ﷺ كلمة باقية في عقبه[١] لعلهم يرجعون، وليس المُرادُ قولها باللسان فقط مع الجهل بِمعناها، فإنَّ المنافقين يقولونَها، وهم تَحت الكفار في الدَّرْكِ الأسفل من النار، مع كونهم يُصلُّون ويَحجون ويطوفون ويقرءون القرآن ويتصدقون، ولكنَّ المُرادَ قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان بها ومَحبتها ومَحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله مُخلصًا**.

- وفي رواية: **خالصًا من قلبه**.

- وفي رواية: **صادقًا من قلبه- دخل الجنة**»[٢].

وفي حديث آخر: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله**

---

(١) نسله وأولاده.

(٢) رواه عن أبي سعيد: البزار (رقم ٧)، وعن أبي موسى: أحمد (٤/ ٤١١) وفيهما ضعف، وفي الباب عن أنس، وعن جابر، وصححه شيخنا الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠٩).

دخل الجنة»[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

وهذه الكلمةُ نفيٌ وإثباتٌ: نفيُ الإلهية عمّا سوى الله تعالى من المخلوقات حتى جبريل ومحمد -عليهما السلام-، فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

وهذه الألوهية هي التي تُسمِّيها العامةُ في زماننا «السر والولاية»! والإله معناه[٢] الولِي الذي فيه السر، وهو الذي يسمُّونه الفقير، والشيخ، والدرويش، والولِي، وذلك أنهم يظنُّون أن الله تعالى جعل لِخواصِّ الخلق منزلةً يرضى أن يلتجئ الإنسانُ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم، ويَجعلَهم واسطةً بينه وبين الله تعالى، فالذي يزعُمُ أهلُ الشركِ في زماننا أنهم وسائطُ هم الذين يُسميهم الأولون الآلهةَ!!

والواسطة هي الإلهُ، فقول المؤمن: لا إله إلا الله إبطالٌ للوسائط، وغالبُ الذين غَلَوا في تعظيم الأولياء وشيوخ الطُّرق وأئمة آل البيت من السادة، قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد، والطَّواف بقبورهم، وذبح القرابين لهم، وكانوا يَجهلون أنهم بهذا قد اتَّخذوهم آلهة.

واعلم أن لا إله إلا الله هي الكلمةُ الفارقةُ بين الكفر والإسلام، فمن

---

(١) رواه مسلم (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٨١٩٠) عن طارق الأشجعي ﷺ.

(٢) عندهم.

قالها عالِـمًا بِمعناها، ومعتقدًا إياها فقد دخل في الإسلام، وصار من أهل دار السلام: الجنة.

وأما من قال: لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا رب إلا الله، أو لا موجود إلا الله[١]، أو الله موجودٌ، أو نَحو ذلك فلا يكون مسلمًا، ولا يكونُ من أهل دار السلام، وهذه الكلمات وإن كانت كلمات حقة، ولكن يشتركُ في القول بها سائر الناس من المشركين والمَجوس والنصارى واليهود، وغيرهم سوى الدَّهرية المادية[٢] كما يشهد القرآن بذلك[٣].

فقد ثبت بهذا التحقيق أن الذكر النافع المُنجي من عذاب الله تعالى إنما هو: لا إله إلا الله[٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الذكر لا إله إلا الله»**[٥].

(١) وانظر تفصيل ذلك في رسالة: «تَجريد التوحيد المفيد»، للإمام الشيخ تقي الدين المقريزي -رحِمه الله- بتحقيقي، ومن المفيد هنا أن أذكر أن أكثر الجماعات الإسلامية لا تولِي أي اهتمام للتوحيد، وبعضها تظن نفسها أنها تهتم به؛ لكنها -في الواقع- تذكر هذا الذي نبه عليه المصنف هنا، وهو المسمى توحيد الربوبية، الذي كان مشركو مكة معتقدين به، عارفين حقيقته، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. وانظر كلام المصنف الآتِي فيما بعد.

(٢) وهم الملاحدة.

(٣) انظر: التعليق قبل السابق.

(٤) فيه ردٌّ على من يُجيز الذكر بالاسم المفرد «الله، الله» مثل الشيخ سعيد حوى في كتابه: «تربيتنا الروحية» (ص ١١٤)، وانظر لزامًا: «العبودية» (ص ١٥٨-١٥٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-، وسيأتِي للمصنف زيادة بيان (ص ٥٩).

(٥) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة»، كما في «تُحفة الأشراف» (٢/ ١٩٠)، والترمذي =

فيما يتداوله العوام، ومن يدَّعي العلم والدين من الطغَام[1]، من قولهم: الله موجود، أو لا رب إلا الله، أو: لا خالق إلا الله، أو نَحو ذلك، فليس من خصائص دين الإسلام؛ بل يشتركُ فيه المشركون واليهودُ والنصارى والمجوسُ، فتنبَّه وتدبَّر، ولا تكن أعمى وأصمَّ تُقَلِّد كلَّ ناعق وناهق!

واعلم أن الكفَّار الذين دعاهم رسولُ الله ﷺ إلَى الإيمان والتوحيد وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يَخْلُقُ ولا يرزقُ ولا يُحيي ولا يُميت ولا يُدبِّر الأمورَ إلا الله وحده، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[يونس: ٣١].

كما فصَّلتُ، وبيَّنت هذه المسألة حقَّ التفصيل والتبيين في كتابي «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن»[2] فتنبه.

فإن هذه المسألة عظيمةٌ مهمة جدًّا، وهي: أن تعلم أن الكفار شاهدون

=

(٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٧)، وابن حبان (٢٣٢٦- موارد)، والحاكم (١/ ٥٠٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٤٢-٤٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٩)، وأخرجه بلفظ: «**أفضل الدعاء ...**»، ابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» (١٠٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٠٥)، وهو حديث حسن.

(١) أرذال الناس وأوغادهم.

(٢) مطبوع في مطبعة أم القرى بِمكة المكرمة سنة(١٣٥٧هـ) كما ذكر المصنف نفسه -رحمه الله- في «هل المسلم» (ص ٨٥)، ولم أقف عليه.

بهذا كلِّه ومُقرُّون به، ومع هذا لم يُدخِلهم ذلك في الإسلام، ولم يُحرِّم دماءهم وأموالَهم، وسببه أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وأنه لا يُدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لملك مُقرَّب، ولا نبِي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد أشرك، ومن نذر لغيره فقد أشرك[١]، ومن حلف بغيره فقد أشرك[٢].

فالله الله يا إخواني، تمَسَّكوا بأصل دينكم، وأوَّله وآخره، وأُسِّه ورَأسِهِ، ألا وهو: شهادةُ أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، واكفُروا بالطواغيت وعادوهم، وأَبغِضُوا مَن أحبَّهم فإنَّ الحب في الله، والبغض في الله من الإيمان، اللهم توفَّنا مسلمين وألحِقنا بالصالِحين.

ولا شكَّ أن أول ما فرَض الله تعالى على عباده الإيمانُ بالله والكفرُ بالطاغوت: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

---

(١) قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

(٢) كما صح عنه ﷺ، رواه الطيالسي (١٨٩٦)، وأحمد (٢/ ٣٤، ٨٦)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وابن حبان (١١٧٧-موارد)، والحاكم (١/ ١٨)، (٤/ ٢٣١)، والبيهقي (١٠/ ٢٩) عن ابن عمر.

فصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بُطلانَ عبادة غير الله، وتتركَها وتُبغضها وتكفِّر أهلَها وتعاديهم، ومعنَى الإيمان بالله أن تعتقدَ أن الله هو الإله المعبودُ وحدَه دون مَن سواه، وتُخلص كلَّ أنواع العبادة لله وحده، وتنفيها عن كلِّ معبودٍ سواه.

والطاغوت عامٌّ في كلِّ أنواع العبادة، فكلُّ ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والعبادة: الإطاعة: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، كما في سورة يس ، وكذا في سورة مريم، قال إبراهيم ﷺ لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤].

فالإنسان لا يكون مؤمنًا بالله إلا بعد الكفر بالطاغوت، لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

* * * * *

(٧)

فالجَامعُ لعبادة الله تعالى وحده؛ إنَّما هو طاعتُه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأنواعُ العبادة التِي لا تصلح إلا لله تعالى وحده: الدعاءُ، والاستعانة، والاستغاثة، وذبح القربان، والنذرُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والإنابة، والمَحبة، والخشية، والرغبة، والرهبةُ، والتألُّه، والركوعُ، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم -الذي هو من خصائص الألوهية-.

فَمَن صرف شيئًا من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره، والشرك في العبادة ينقضُ الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨] الآية.

و ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]. ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجنِّ أو للقبر أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فهذا كفرٌ إجماعًا[١].

وقد روى الترمذي، وأبو داود[٢] عن ثوبان -رضي الله تعالى عنه-، عن

(١) انظر: «الدر النضيد» للشوكاني، بتحقيقي.

(٢) الترمذي (٢١٧٧)، وأبو داود (٤٢٥٢) وإسناده صحيح.

رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تقوم الساعةُ حتَّى تَلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحَتَّى تعبدَ فئامٌ من أمتي الأوثان»**.

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر»[1]، والفقيه الحنفي[2] في «تبيين المحارم»[3]: إنّ من أشرك في عبادة الله غيره أنه يكفُرُ بالإجماع، ويُقتل إن أصرَّ على ذلك، كدُعاء الأموات لجَلب خير، أو دفع ضر، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»**[4].

وقد روى الترمذي[5]، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنه قال: خَرَجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، وكان لقريش والمشركين شجرةٌ خضراءُ عظيمة،

---

(١) الزواجر في عقوبة أهل الكبائر (١/ ٣٠).

(٢) هو الشيخ سنان الدين يوسف الأماسي، المتوفَّى في مكة نَحو سنة (٩٧٦هـ) ترجمة في «الأعلام» (٨/ ٢٤١)، و «الشذرات» (٨/ ٤١٢)، وذكر كحالة في «معجم المؤلفين» (١٣/ ٣١١)، وفاته سنة (١٠٠٠ هـ) فوهم.

(٣) أورده حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٣٤٢)، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الأزهرية، كما في «فهرسها» (٣/ ٦٧٠)

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن السني (٤٢٥)، وسنده حسن، وللحافظ ابن رجب رسالة في شرحه اسمها: «تنوير المِقباس ....» قام بتحقيقها وتخريج أحاديثها، الأخ محمد ناصر العجمي -حفظه الله-.

(٥) برقم (٢١٨٠)، والشافعي (٢٣- بدائع المنن)، وعن الرزاق (٢٠٧٦٣)، والحميدي (٨٤٨)، والطيالسي (١٣٤٦)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وابن أبي عاصم (٧٦)، وابن جرير (٩/ ٣١)، وابن حبان (١٨٣٥- موارد)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٩٠) و(٣٢٩٤) بسند صحيح.

يأتونها كلَّ سنة فيعلِّقون عليها سلاحَهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها، يُقال لها: ذاتُ أنواط، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذاتُ أنواط! فقال النبي ﷺ: «**هذا كما قال قومُ موسى لموسى** عليه السلام: **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم ...**» الحديث.

قال الإمام شهاب الدين عبد الرحمن الشامي المعروف بأبي شامة في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»[١]: قال الإمام أبو بكر الطُّرطُوشي[٢] -رحمه الله تعالى-: فانظروا رحمكم الله تعالى أينما وجدتم سِدرةً، أو شجرة، يقصدُها الناسُ، ويعظِّمون من شأنِها، ويرجون البرءَ والشفاء من قبلها، ويُنَوِّطون[٣] بها أسلحتَهم، ويضربون عليها المساميرَ والخِرَقَ فهي ذاتُ أنواطٍ فاقطعوها.

فتأمل -رحِمك الله تعالى- هذا الكلام، بأنَّ ما تفعله العامة في زماننا في العُمُد والشجر، والحجر، والمواضع المَخصوصة، أنَّه مثلُ فعل المشركين بذات أنواط، فتبيَّنَ منه أن الشرك قد حدث في هذه الأمة من أزمنة مديدة، فيجبُ على كل مَن قَدَرَ على إزالته إزالتُهُ، فويلٌ للعلماء والأمراء والقُضاة القادرين على إزالته على سكوتِهم.

واعلم أن الغلوَّ في المشايخ منهيٌّ عنه، فكلُّ من غلا في نبِي، أو رجل

(١) (ص ٢٤).

(٢) في كتابه: «الحوادث والبدع»، وقد حققتُه ونشرته دار ابن الجوزي - الدمام.

(٣) ويعلقون.

صالح[١]، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثلُ أن يقول: يا سيدي فلان انصُرني، أو: أغثني، أو: ارزقني، أو: أنا في حَسَبك، أو نَحوها، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب[٢]، وإلا قتل.

فإن الله تعالى إنما أرسلَ الرُّسُلَ، وأنزل الكُتُبَ ليُعبَدَ وحده، ولا يُجعل معه إلهٌ آخَرُ، والذين يدعون مع الله آلهةً أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام لـم يكونوا يعتقدون أنها تَخلُقُ الخلائقَ، أو تُنزل المطر، أو تنبتُ النباتَ، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورَهم أو صُوَرَهم ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

فبعث الله رُسُلَه تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه، لا دعاءَ عبادةٍ ولا دعاء استغاثة، ونَهى عن الحلف بغير الله، وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٣]، ونهى عن تعظيم القبور، واتِّخاذها مساجد[٤]؛ لأن مِن أكبر أسباب عبادة الأوثان:

---

(١) كما تقدم عن «الولي العقباوي»!

(٢) من الحاكم المسلم في ظل الدولة الإسلامية.

(٣) تقدم تخريجه تعليقًا.

(٤) قال ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» أخرجه البخاري (١/ ٥٣٢)، ومسلم (١/ ٣٧٧)، عن عائشة، وابن عباس، وأخرجاه عن أبي هريرة مُختصرًا بنحوه، وانظر: «تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي -بتحقيقي.

ولشيخنا العلامة الألباني كتاب «تحذير الساجد من اتِّخاذ القبور مساجد»، وهو مفيد في بابه.

تعظيم القبور؛ ولهذا اتَّفق العلماء[1] -رحمهم الله تعالى- على أن من سلَّم على النبي ﷺ حين زار قبره أنه لا يتمسَّح بِحجرته ولا يُقَبِّلُها؛ لأنه إنما يكونُ لأركان الكعبة، فلا يُشَبَّهُ بيتُ المَخلوق ببيت الخالق[2]، كلُّ هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصلُ الدين، ورأسُه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، وهذا هو معنَى: لا إله إلا الله.

قال ابن القيم في «شرح المنازل»[3]: والشِّركُ هو أن يتَّخذ من دون الله ندًّا يُحبه كما يُحب الله؛ بل أكثرُهم يُحبون آلهتَهم أعظم من مَحبة الله، ويغضبون لتنقُّص آلهتِهم ومعبودهم من المشايخ أعظمَ مما يغضبون إذا تنقَّص أحدٌ ربَّ العالمين، وقد شاهدنا هذا نَحن جهرة[4]، وترى أحدَهم قد اتَّخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه إن قامَ وإن قعد، وإن عَثَرَ وإن استوحشَ، وهو لا يُنكر ذلك، ويرى أنه بابُ حاجته إلى الله وشفيعُه عنده، وهكذا كان عُبَّادُ الأصنام سواء، وهذا هو الذي أنكره الله تعالى عليهم في القرآن وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلَّها له، والقرآن مملوءٌ من أمثال هذا.

ولكنَّ أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنّه في قوم قد خَلَوا

---

(١) وللمصنف -رحمه الله تعالى- كتاب «المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية» وهو من الكتب النافعة -وقد حققته، وسينشر قريبًا إن شاء الله.

(٢) وفي هذا التعليل نظر كما لا يَخفى!

(٣) وهو «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٩-٣٤٤)، والمصنف يتصرف في نقله.

(٤) ونَحن كذلك!!

ولم يُعقِّبوا وارثًا وهذا هو الذي يَحول بين المرء وبين فَهم القرآن، كما قال عمر ابن الخطاب ﷺ: «إنما تُنقض عرى الإسلام عُروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

وهذا لأنه لم يعرف الشركَ وما عابه القرآن وذمَّه فوقع فيه، وأقرَّه وهو لا يعرف، قيل لعمر بن الخطاب ﷺ: فلانٌ لا يعرف الشرَّ؟ قال: «ذلك أحرى أن يقع فيه».

ومن أنواعه: طلبُ الحوائج من الموتَى، والاستغاثةُ بهم، والتوجُّهُ إليهم، وهذا أصلُ الشرك في العالـم، فزاروهم زيارةَ العبادة، وجعلوا قبورَهم أوثانًا تُعبد.

* * * * *

(٨)

اعلم يا أخي في الله ﷻ، أن معنا أصلين عظيمين:

أحدهما: ألاَّ نعبد إلا الله.

والثاني: ألاَّ نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان[1] هُما تَحقيقٌ لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا رسول الله، ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» كما ذكرناه سابقًا[2].

ولهذا قال الفقهاء[3]: العبادات مبناها على الاتِّباع لا على الابتداع، ويدلُّ على هذا ما في «الصحيحين»[4] أيضًا عن عمر رضي الله عنه، أنه قبَّل الحجر الأسود، وقال: «والله إنِّي لأعلمُ أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُك» فتدبَّر وتفكَّر وتنبه، ولا تكن من الغافلين!

---

(١) وهُما اللذان بنى عليهما شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كتابه المستطاب «العبودية» فراجعه - بتحقيقي.

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٩).

(٣) وقد فصل ذلك الإمام الشاطبِي في «الموافقات» فراجعه.

(٤) هو في «صحيح مسلم» (١٢٧١)، والبخاري (١٥٩٧)، وانظر: «فتح الباري» (٣/ ٤٦٣).

ومن يتدبَّر الآيات القرآنية تبيَّن له معنَى لا إله إلا الله، وتفكَّر في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١] . وقد فسَّرها النبيﷺ لعدي ابن حاتم ﷺ، أنه الأخذ بقول الرجال(١) .

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣١].

فصار ذلك الأخذ عبادةً لهم، وصاروا به أربابًا لهم من دون الله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٠] .

فمن تدبَّر هذه الآيات وما شاكلَها تبين له معنَى لا إله إلا الله، وتبيَّن له التوحيدُ الذي جحدَه أكثرُ من يدَّعي العلمَ في هذه القرون، وقد عمَّت البلوى

---

(١) وذلك بقولهﷺ: «**إنَّهم إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه، وذلك عبادتهم**» وهو حديث أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وابن جرير (١٠/ ٨٠، ٨١)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ١٠٩٠)، وابن أبي حاتم (ج٤ -ق٤٢-مخطوطة الجامعة الإسلامية)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٢)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٧٤)، وزاد نسبته لابن سعد، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وإسناده ضعيف؛ لضعف غطيف بن أعين.
وله شاهد موقوف على حذيفة -مرفوع حكمًا- رواه ابن أبي حاتم (ج٤ -ق٤٢- مُخطوطة الجامعة الإسلامية)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، وابن جرير (١٠/ ٨١)، وابن عبد البر (٢/ ١٣٣) وهو منقطع، وقد حسنه شيخنا الألباني في «غاية المرام» (٦)! وانظر: «النهج السديد..» (ص ٥٣) للدوسري، و «قطف الثمر» (ص ١٥٤) لصديق حسن خان، بتحقيق الأخ عاصم القريوتي.

بالجهل به بعد القرون الثلاثة، ولَمَّا وقع الغلوُّ في قبور أهل البيت وغيرهم، وبُنيت عليها المساجد، وبُنيت لهم المشاهدُ والقِبابُ، فاتَّسع الأمر، وعظُمَتِ الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لَـمَّا حدث الغلوُّ في الأموات، وتعظيمُهم بالعبادة.

وبهذه الأمور عاد المعروفُ منكرًا والمنكرُ معروفًا، والبدعةُ سنةً، والسنةُ بدعة، نشأ على هذا الصغيرُ، وهرم عليه الكبير[1]، فتبيَّن سرُّ قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ فطوبَى للغرباء، الذين يُصلحون ما أفسده الناسُ**»[2].

وروى الترمذيُّ وابن أبي حاتم[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**احفظ الله يَحفظك، احفظ الله تَجده تُجاهك، تعرَّف إلَى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لـم يكتبه الله عليك لـم يضرُّوك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لـم يكتُبه الله لك لـم ينفعوك، جفَّت الصُّحفُ، ورُفِعَتِ الأقلامُ، واعمل لله بالشكر في اليقين**».

---

(١) وثبت نَحو من ذلك عن ابن مسعود، رواه الدارمي (١/ ٦٤)، والحاكم (٤/ ٥١٤)، وابن وضاح (٣٤، ٨٠) وسنده صحيح.

(٢) أصله في «صحيح مسلم» (١٤٥)، وابن ماجه (٣٠٨٦)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٢٣)، وفي «تاريخه» (١١/ ٣٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٨٩)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٢٩٨) عن أبي هريرة، وقوله: «**الذين يصلحون ما أفسده الناس**» رواه الترمذي (٢/ ١٠٥)، وابن عدي (٢/ ٢٠٨٠)، وفي سنده كثير بن عبد الله المزني ضعيف جدًّا.

(٣) تقدم تَخريجه وليس فيه هناك: «**تعرف إلَى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» وبهذا اللفظ أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥) وسنده حسن.

وعن عمران بن حُصين ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلَقة من صُفر، فقال: «**ما هذه؟** فقال: من الواهنة، فقال: **انزعها فإنَّها لا تزيدُك إلا وَهَنًا، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» رواه أحمد[1].

ومن الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيرَه، والاستغاثة هي طلبُ الغوث وهو إزالةُ الشدَّة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون، فكلُّ ما قُصد به غيرُ الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوات الأموات والغائبين؛ فهو من الشِّرك الذي لا يغفره الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:١٧].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾[الأحقاف:٥-٦].

فأخبر الله تعالى أنه لا أضلَّ ممن يدعو أحدًا دونَه كائنًا من كان، فليس لمن دعا غيرَ الله إلا الخيبةُ والخسرانُ، فلا يَحصل للمشركِ يومَ القيامة إلا نقيضُ قصده، وصار المدعو للداعي عدوًّا فالداعي للغير في غاية الضلال، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل:٦٢].

---

(١) في «مسنده» (٤/ ٤٤٥)، وابن ماجه مُختصرًا (٣٥٣١)، وابن حبان (١٤١٠- موارد) بنحوه، وفي سنده المبارك بن فضالة مدلس لين الحديث وقد عنعن، ورواه ابن حبان (١٤١ - موارد)، والحاكم (٢١٦٤)، من طريق آخر، وفي سنده صالح بن رستم، وهو صدوق يُخطئ كثيرًا، والحسن لم يسمع من عمران!!

وروى الطبراني[١] عن عُبادة بن الصامت ﷺ، أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله من هذا المنافق فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بِي، وإنَّما يُستغاث بالله**».

إنما نهى النبي ﷺ عن الاستغاثة به حِمايةً لِجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك مَخافة أن يقعَ من أُمته الاستغاثة بِمن لا يضرُّ، ولا ينفعُ، ولا يسمعُ، ولا يستجيبُ من الأموات والغائبين، والطواغيت والشياطين والأصنام، وغير ذلك.

وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمَّت به البلوى، حتى ظنُّوا أن الميتَ يسمعُ[٢] وينفُع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا، كما ترى عليه الأكثرين من جَهَلة هذه الأمة.

* * * * *

---

(١) قال في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥): ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

قلت: إذا كانت رواية العبادلة -أو مَن في طبقتهم- عنه، وإلا فهو ضعيف مُختلط.

(٢) وللعلامة الآلوسي رسالة «الآيات البينات على عدم سماع الأموات». طبعت بتحقيق شيخنا العلامة الألباني -رحمه الله-.

(٩)

فصلٌ مهمٌ وتنبيهٌ مفيدٌ

اعلم -يا أخي في الله ﷻ- كما أن الأقفال أشكالٌ وأصنافٌ، منها ما له سنٌّ واحدٌ، ومنها ما له سِنَّان، ومنها ما له أسنانٌ، ولا ينفتحُ كلُّ واحدٍ منها إلا بِمفتاحها الخاص له، فلا ينفتح أبدًا ما له سنٌّ واحد بِمفتاح له أسنان متعددة، وكذا العكس.

فكذا العبادات والطاعاتُ لكلٍّ أشكالٌ وهيئاتٌ، بيَّنها رسولُ الله ﷺ أحسنَ بيانٍ سواءٌ كانت فعليةً، أو قوليةً، كهيئة الصلاة، وإنَّ مفتاحها التكبير، وختامها التسليم، وأن القراءة موضعُها القيامُ، والتسبيحَ مَحله الركوع والسجود، وهكذا، فمن أتى كما بيَّن وفعل؛ فقد سعد وصار من المَقبُولين، ومَن عَكس أو زاد أو نَقَصَ فقد تعدَّى وظلم وصار من المردودين، وهكذا لها أمثلةٌ تظهر لِمن تدبَّر وتفكَّر من أولِي الألباب، فاللهم إنَّا نسألك أن تَجعلَنا منهم.

ولماذا ذلك كذلك؟ لأن الدينَ والعبادات دواءٌ من تركيب الحكيم العليم الخبير، الله ربّ السموات والأرض العزيز الحكيم، فيجبُ أن يؤتَى به كما أَمَرَ وبيَّن بواسطة رسوله محمد ﷺ، كما أن الطبيب الحاذق من البشر بعدما يعرف الداء، يركِّب له دواءً مُرَكَّبًا من أشياء على كميَّات خاصة، فيُرَكِّبون الأدوية

حسب الأمراض بعد معرفتها فَيُعالجونَها بها، فَمَن صادف ذلك رُبَّما نفعه فصار سببًا للعافية والسلامة.

وأما مَن خالف ذلك الطبيب، أو ركَّب هو بنفسه أدويةً بلا معرفة حقيقة خواصِّها وكميَّتها، فربَّما صار سببًا لِهلاك نفسه، وإهلاك غيره، فإن كان الأمرُ هكذا، فليعلم أنّ الدين والعبادات طرقٌ وأسبابٌ لإصلاح النفس الإنسانية، وتزكيتها من الأمراض والأدناس والأهوية الفاسدة، حتى يكون صاحبُها لائقًا لقُرب الله تعالى الخالق الحكيم ورضوانه.

فطُرُقُ الدين والعبادات الصحيحةُ إنما هي ما بيَّنه الذي خَلَقَ الخَلقَ على لسان رسوله مُحمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيمَ الخلاَّق العليم، بتركيبه الأدويةَ من عند نفسه، فربَّما صار دواؤه داءً، وعبادتُهُ معصيةً وهو لا يشعر، لأن الدين قد كَمُلَ تَمام الكمال، فَمَن زاد شيئًا فيه فقد ظنَّ الدين ناقصًا، وهو يُكَمِّلُه باستحسان[1] عقله الفاسد وخياله الكاسد، فيا خسارة مَن هذا شأنه، فنعوذ بالله من الكُفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد العرفان.

فإذا عرفت هذا حقَّ المعرفة، علمتَ أن الذين اخترعوا الأوراد والأحزاب، كـ: «دلائل الخيرات»[2]، وقصيدة «البردة»[3] و«الهمزية»، والأوراد

---

(١) انظر: «الرسالة» (١٤٥٦-١٤٦٨) للإمام الشافعي في نقض الاستحسان.

(٢) وللأستاذ خير الدين وانلي معارضة علمية لها بكتابه «دليل الخيرات»، وهو مطبوع مشهور.

(٣) وللشيخ محمد نسيب الرفاعي كتاب «نقض البردة، وبيان ما فيها من أبيات الشرك والردة» وهو لا يزال مَخطوطًا.

الفتحية[١]، وغيرها من ورد فلان، وحزب فلان، وختم خواجَه كان، قد زادوا في الدين أشياء من عند أنفسهم افتراءً على الله، وعلى رسول الله ﷺ، ويقولون: يقول كذا، كذا مرة، من أين لهم هذا العدد؟ ويقولون: حزب يوم كذا وكذا، من أين لهم تعيين هذا الشيء في هذا اليوم[٢]؟ فضلاً عما في كلماتِهم من الشِّركيات والكُفريات، وتنزيل المخلوق منزلة الخالق، ودعاء الأموات وطلب الحاجات من المَخلوقات، كما لا يَخفى على من اطَّلع عليها من أُولِي الألباب.

أما يكفيك ما ورد في القرآن من الدعوات، وما ثبت عن الأنبياء -عليهم السلامُ- من الأوراد، وما صحَّ بالأسانيد الصحيحة عن سيد الكائنات سيدنا محمد رسول الله ﷺ، من الأوراد الموقَّتة والمطلقة، والليلية والنهارية، فإذا لم يكفك ما كفى رسول الله وأصحابه وتابعيهم بإحسان -عليهم الصلوات والتسليمات-، فلا كفاك الله أبدًا، فتنبَّه وتدبَّر، ولا تكن من الغافلين الغاوين.

فالحاصل: أن معنَى لا إله إلا الله: لا معبود بِحقٍّ إلا الله، كقوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]. و: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فلابدَّ من معرفة معنَى الإله، ومعنَى العبادة.

فاعلم أن الإله مِن (أَلِه) أي: (سَكَن)، يقال: أَلِهتُ إِلَى فلان، أي: سكنتُ

---

(١) لعلها بعض الأوراد الصوفية التي يزعم أصحابها أن من حافَظَ عليها يكون من الذين (يفتح) الله عليهم!!

(٢) وهذه قاعدة مهمة جدًّا في الأدعية والأذكار فاحفظها.

إليه، فالعقول السليمة لا تسكنُ إلاَّ إلى ذكره، والأرواحُ السعيدةُ لا تفرح إلا بِمعرفته؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال الله -جل ذكره-: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]. وقيل: ألِهَ الفصيل[١] إذا وَلِعَ بأمه.

والمعنى: أن العبادَ مألوهون ومُولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال.

وقيل: من ألِهَ الرجلُ يألَه إذا فَزِع من أمر نزل به، فألهه أي: أجاره، فالمُجيرُ لِجميع الخلائق من كل المضارِّ هو الله سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

وقيل: من أَله الرجل إذا تعبد، وتألّه إذا تنسك، وقرأ ابنُ عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف:١٢٧][٢]. أي: عبادتك، والإله هو الذي تؤلِهُهُ القلوبُ محبةً، وإجلالاً، وإنابة وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلاًّ، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كلُّه إلا لله وحده، فمَن أشرك مَخلوقًا في شيء من هذه الأمور الَّتِي هي من خصائص الألوهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بِحسب ما فيه من ذلك، كما حققه العلامة ابن القيم في كتابه «البدائع»[٣]، وابن تيمية في كثير من كتبه[٤].

---

(١) هو ولد الناقة، أو البقر بعد انفصاله عن أمه.

(٢) وانظر: «زاد المسير» (٣/ ٢٤٤).

(٣) هو «بدائع الفوائد» مطبوع متداول!

(٤) انظر: «العبودية» له.

فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بِحق إلا الله، لأن الإله هو المَعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحقّ هو بما اتَّصف من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المَحبوب غاية الحُب، المَخضوع له غاية الخضوع، والإله هو المَحبوب المعبود الذي تُؤلِه القلوبُ بِحبِّها، وتَخضع له، وتذلُّ له، وتَخافهُ وترجوه وتُنيبُ إليه في شدائدها، وتدعوه في مهمَّاتِها، وتتوكَّل عليه في مصالِحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكنُ إلى حُبِّه، وليس ذلك إلا الله وحده، ولهذا كانت كلمةُ لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكان أهلها أهلَ الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهلُ غضبه ونقمته، فإذا صُحِّحَت صحَّ بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصحِّحها العبدُ فالفساد لازمٌ له في علومه وأعماله، وهذا هو الكلام عند أهل السنة جَميعهم، فيا سعادة من هُدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتَّبعه.

ولا إله إلا الله هي كلمةُ الإخلاص المنافيةُ للشرك.

وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، ولكن لا تنفعُ قائلها عند الله وفي دار الآخرة إلا بشروط:

الأول: العلم بِمعناها نفيًا وإثباتًا[1].

والثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشَّك.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

---

(١) ويكفي في هذا العلم -للنجاة- الإجمَالُ كما فصَّلتُه في غير هذا الموضع. نعم؛ للتقصير فيه أحكامٌ كُلٌّ بِحَسَبِهَا.

فمن يقول: لا إله إلا الله، ولكن لا يفهم معناها، ولا يعمل به، فهو كمثل الحمار يَحمِلُ أسفارًا، أو كمثل العَرَض [١] بلا ذات، أو كمثل اللون بلا طعم ولا رائحة طيبة، أو كمثل بندقية أو مدفع بلا سهم ولا رصاص، أو كمثل سيارة أو طيارة بلا بنزين .. لأن الله ﷻ قال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

فالعلم مقدمٌ على القول والعمل، فمدارُ الأمر على القلب، فإن كان القلبُ متعلِّقًا ومفتونًا بغير الله تعالى، فذلك القلبُ خرابٌ وأبتَرُ، ولا يَحصلُ شيء من مُجرد الأعمالُ الصُّورية، والعبادات الرُّسومية بلا سلامة القلب؛ بل لابدَّ أولاً من سلامة القلب، ثم الأعمال الصالِحة كما وردت بلا زيادة ولا نقصان.

واعلم أنه قد تقرَّر عند الحكماء أن المريض ما دام مريضًا، لا ينفعه غذاء أصلاً، ولو كان من ألذِّ الأطعمة وأحسنها؛ بل لابدَّ أولاً من إزالة المرض إما بالمسهّل، وإما بالكي، وإما بالقطع، وإما بغير ذلك من العلاجات، ثم الاجتهادُ في تَحصيل القوَّة بالأغذية المُناسبة، فكذلك الإنسانُ ما دام مبتلى بِمرض القلب بالشرك ونَحوه لا تنفعهُ عبادةٌ وطاعةٌ أصلاً، ولهذا أجمَعوا على أن التَّخلية مقدَّمةٌ على التحلية [٢]، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، تنفي أولاً الآلهة: الأنفسية والآفاقية، ثم تُثبت الإله الواحدَ الأحدَ الصَّمدَ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ.

---

(١) هو ما قام بغيره، فلا يُمكن أن ينفك عنه.

(٢) شرحه ما تقدم في كلام المصنف عن المريض.

(١٠)

يا أخي في الله سبحانه، الحمدُ لله قد عرفتَ معنَى لا إله إلا الله، فاعرف الآن معنَى العبادة معرفةً صحيحة، لتكونَ من الموحِّدين الفالِحِين بِحول الله وفضله، والعبادةُ غايةُ الخضوع فلا يخضع إلا لله.

والعبادة: الطاعةُ على كمالها فلا يُطاع إلا الله، والعبادةُ هي: الطاعةُ مع غاية الخضوع، وأن لفظ العباد مأخوذ من العبادة فتكثر إضافتهُ إلى الله تعالى، وأما لفظ العبيد فمأخوذ من العبودية بِمعنَى: الرقِّ؛ فتكثرُ إضافته إلى غير الله تعالى.

فلهذا قال العلماء: إن العبادة لا تكون في اللغة إلا لله تعالى، وتدل الأساليب الصحيحةُ، واستعمال العربي الصَراح على أن العبادة ضربٌ من الخضوع بالغٌ حدَّ النهاية، ناشئ عن استشعار القلوب عظمةَ المعبود، وللعبادة صورٌ كثيرةٌ في كل دين من الأديان شُرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلَهي الأعلى، الذي هو روحُ العبادة وسرُّها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]. يعني: إياك نُوحد ونخاف، ونرجوك يا ربَّنا لا غيرك[١].

---

[١] أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» (١/ ٣٧- ط٢).

والعبادة عبارةٌ عما يَجمعُ كمالَ المحبة والخضوع والخوف، والعبادة: الإطاعةُ، فكلُّ مَن أخَذَ بقول الغير بلا دليل فقد عبدهُ، ومن أطاع العلماء والأمراءَ في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه الله فقد اتَّخذهم أربابًا.

وقد روى الإمام أبو داود(1)، والترمذي، وغيرهما عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] الآية، فقلت: إنهم ما كانوا يعبدونَهم. قال: «**أليس يُحرمون ما أحلَّ الله، فتحرمونه، ويُحلون ما حرمه الله، فتحلونه؟ قال: فتلك عبادتُكم إياهم**».

وقال الله تعالى -في وصف عباده المؤمنين-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]. فالرغبة، والرهبة، والخشوع، وغير ذلك من أنواع العبادة كالمَحبة، والدعاء، والتوكل، ونَحو ذلك مُختصٌّ بالله تعالى، لا يصلحُ منه شيء لغيره تعالى كائنًا من كان.

واعلم أن مدلول لا إله إلا الله: التزامٌ بعبادة الله وحده لا شريك له، والكُفرُ بما يُعبَدُ من دون الله، وهذا هو أصلُ دين الإسلام وقاعدتُه، ولهذا كانت هذه الكلمةُ كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، والفارق بين المؤمنين والكافرين من الأنام، وهذا هو قولُهُ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. و: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]. و: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

---

(1) تقدم تخريجه، ولم يخرجه أبو داود، فتنبه.

ولكن قد تلطَّف الشيطان في التحيُّل والمكر والمكيدة حتى أدخلَ الشركَ وعبادة الصالحين على كثير ممن ينتسب إلى الإسلام في قالب محبة الصالِحين والتشفع بهم، وأن لهم جاهًا، ومنزلة يشفعُون بها لِمَن دعاهم ولاذ بهم.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدعاءُ مُخُّ العبادة**»[1]. فلا يُدعى غيرُ الله فيما لا يقدر عليه، فتوحيدُ العبادة أن تَخُصَّ جَميع أنواع العبادة لله تعالى وحده.

ومن أنواعها: الاستعانة، والاستغاثة، والنداءُ في الشدائد، والرجاءُ واللجاء، والنذرُ والنحر، فلا يكونُ شيء منها إلا لله وحده، فمن يفعل شيئًا من ذلك لمخلوق من حيٍّ أو ميت أو جَماد فقد أشركَ في العبادة.

وصار من يفعل له هذه الأمور إلَهًا لعابديه، سواءٌ كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو قبرًا، أو جنيًّا، وصار بهذه العبادة -أو بأي نوع

---

(١) لم يثبت هذا اللفظ فقد رواه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس، وضعفه بقوله: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهيعة».

قلت: وقد تقرَّر أن روايته مقبولة إذا رواها عنه أحد العبادلة -أو مَن في طبقتهم-؛ وإلا فمردودة، ولقد أورد المنذري الحديث في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٨٢) وصدَّره بصيغة التمريض: «روي»! ولكن الحَديث ثبت بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**» -كما سيورده المصنف بعد قليل- رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٩٨)، والطيالسي (١٢٥٢-ترتيبه)، وأحمد (٤/ ٢٦٧ و٢٧١ و٢٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تُحفة الأشراف» (٩/ ٣٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والبغوي (٥/ ١٨٤) عن النعمان بن بشير بسند صحيح.

منها- عابدًا لذلك المَخلوق وإن أقرَّ بالله وعَبَدَه، فإن إقرارَ المشركين بالله وتقرُّبهم إليه لم يُخرِجهم عن الشرك؛ بل لابدَّ من الكفر بالطواغيت وكلِّ ما يُعبَدُ من دون الله.

وقد قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

اعلم أن كثيرًا من الناس يُسمُّون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعلُ جَميعُ المشركين: من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر لهم؛ ولكنهم لا يُسَمُّون أعمالهم هذه عبادةً.

فيفسدون في اللغة، كما يفسدون في الدِّين، وقد يسمونَها توسّلاً وشفاعةً، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو معَ الله شركاءَ، ولكنهم لا يأبونَ أن يسموهم أولياءَ وشفعاء، وإنما الحِسابُ والجزاءُ على الحقائق لا على الأسماء، ولو لـم يكن منهم إلا دعاءُ غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، لكفى ذلك عبادة له وشركًا بالله ﷻ.

وقال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**». رواه أبو داود والترمذي[1].

وهذا يُفيد حصرَ العبادة الحقيقية في الدعاء، ومن تأمَّل تعبيرَ الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك، يعلم -كما يعلمُ من اختبر أحوال البشر في عباداتهم- أن الدعاءَ هو العبادة الحقيقية الفطرية التي

[1] تقدم تخريجه (٦٣).

يثيرها الاعتقاد الراسخُ من أعماق النفس، ولاسيما عندَ الشدة.

وأما ما عدا الدعاءَ من العبادات في جَميع الأديان فكله أو جلُّه تعليميٌّ تكليفيٌّ[١] يُفَعل بالتكلف والقدوة، وقد يكونُ في الغالب خاليًا عن الشعور الذي به يكون القولُ أو العملُ عبادةً، وهو الشعورُ بالسلطة الغيبية التي هي وراءَ الأسباب العادية، أما ترى إلى حافظ الأدعية الراتبةُ يُحرِّك بها لسانه وقلبُه مشغولٌ بشيء آخر[٢] وإنما العبادةُ جدُّ العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سُويداء القلب وقرارة النفس، وهذا الدعاءُ الخالصُ الذي يغشاه جلال الإخلاص.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) ومنه الفطري الجبِلِّي كما هو ظاهر!

(٢) ومثله من يَحمل السبحة -وهي مُحدثة- يطقطق بها في مَجلسه العام، أو حتى في خطبة الجمعة!!!

(١١)

فإذا عرفتَ ما ذكرنا فاعلم أن المشركين الذين دعاهم النبيُّ ﷺ إلى الإيمان كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية، كما بيَّن الله تعالى في كتابه، ولـم يُدخِلهم ذلك التوحيدُ في الإسلام، بل قاتلهم رسولُ الله ﷺ إلَى أن يقروا بتوحيد الألوهية[١]، وهو معنَى: لا إله إلا الله.

والمرادُ من هذه الكلمة معناها لا مُجرد لفظها، والكفارُ الجُهال كانوا يعلمون أن مراد النبي ﷺ بِهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله والكفر به، فإنه لِما قال لهم: **«قولوا: لا إله إلا الله»**[٢]. قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَـةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥][٣].

---

(١) كما في قوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا رسول الله ..»**. رواه البخاري (٣/ ٢٦٢)، ومسلم (١/ ٥١) عن أبِي هريرة، وهو حديث متواتر كما قال الكتاني في «نظم المتناثر» (٩).

(٢) وتتمته: «.. **تُفلحوا**»! رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٨)، وابن المبارك في الزهد (١١٦٤)، وابن حبان (١٦٨٣- موارد)، والدارقطني (٣/ ٤٤)، والحاكم (٢/ ٦١١)، بسند حسن، عن طارق ابن عبد الله المُحاربِي، وورد أيضًا عن ربيعة بن عباد، ومدرك رضي الله عنهما.

(٣) وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٤٦- ط٢).

وقد عرفت أن جُهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجبُ ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرفُ من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهالُ الكفار؛ بل يظن أنَّ ذلك هو التلفظُ بِحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانِي، والحاذقُ منهم يظنُّ أن معناها: لا يَخلقُ، ولا يرزقُ إلا الله، ولا يُدبِّر الأمر إلا الله!! فلا خير في رجل جُهالُ الكفَّار أعلم منه، بِمعنَى لا إله إلا الله[1].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن المشركين يقرونَ بالربوبية، وأنه كفَّرهم بتعلُّقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولِهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] . وهذا أمرٌ مُحكمٌ بيِّن لا يقدر أحدٌ أن يُغيِّر معناه.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ٦٤] الآية.

أمرَ الله نبيَّه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنَى لا إله إلا الله، الذي دعا العَرب وغيرهم إليه، والكلمةُ هي كلمة لا إله إلا الله، ففسرها بقوله: ألاَّ نعبد إلا الله، فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنى (لا إله)، وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى، و﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنَى في كلمة التقوى والإخلاص.

ومثل هذه الآية كثير يُبين أن الإلَهية هي العبادةُ، وأنه لا يصلحُ منها شيء لغير الله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣] . وهذا توحيد العبادة،

---

(١) وفِي هذا نظرٌ بَيِّنٌ، إذ التلفُّظُ بـ: «لا إله إلا الله». -عن إذعانٍ- عظيم جدًّا، وهي مفيدةً -بيقين- لقائلها، كما في حديث «صاحب البطاقة» المشهور، وغيره.

وهو دعوة الرسل بأجمعهم، إذ قالوا لقومهم: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون:٣٢].

فلابدَّ من نفي الشرك في العبادة رأسًا، والبراءة منه، ومِمَّن فعَلَه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

و ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة:٤]. فأصل دين الإسلام إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك.

فمن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعلُ الشركَ الأكبر: كدعاء الموتَى، والغائبين، وسؤالِهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذر والذبائح، فهذا مشركٌ شاء أم أبَى[1].

لأن التحقيق الحق: أن المعنَى الكُلِّيَّ الجامع لكل ما ذُكر في تعريف العبادة، هو: أن العبادة كُلُّ عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعدُّه صاحبه قُربَةً لِمَن له سلطانٌ غيبيٌّ فوق إدراك العقل غير مُقَيَّدٍ بالأسباب المسخرة للناس، فيستطيعُ أن ينفع، أو يضر من غير طريق الأسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضًا.

---

(١) بقيد المعرفة والعلم، كما تقدم تعليقًا (ص ٣٦، رقم ٨) وقارن -أيضًا- بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموعة التوحيد» (ص ٣٦).

والإله المعبودُ هو صاحبُ هذا السلطان الغيبِيِّ سواءٌ له من ذاته لذاته، وهو ربُّ العالمين كلهم، وهو المَعبودُ بِحقٍّ، أو كان له بما يعتقد من قُربه من الربِّ تعالى، وتأثيره في إرادته بِحيث يفعلُ الربُّ لأجله، أو يُمكنه من الفعل، وهذا هو المعبودُ الباطل؛ لأن الربَّ لا يُشرِكُ في فعله، ولا في حكمه أحدًا.

قيل للحسن البصري -رحمه الله تعالى-: إن ناسًا يقولون: مَن قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ قال: مَن قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرائضها.

وغالب من يقول: لا إله إلا الله، إنما يقولها تقليدًا ولم تُخالط بشاشةُ الإيمان قلبه، فلا يعرفُ ما تنفيه وما تثبته، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه أن يُصرف عنها عند الموت، وفي القبور أمثالُ هؤلاء يقولون كما في [الحَديث] الصحيح[1]: «سَمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته ...» الحديث.

قال الحافظ زينُ الدين عبد الرحمن بن رجب[2]: ومَن تَحقق [معنَى] لا إله إلا الله في قلبه فعلامته ألاَّ يؤلِّه القلب غير الله حبًّا ورجاءً وخوفًا وتوكلاً

---

(١) قطعة من حديث البراء بن عازب الطويل، أخرجه أبو داود (٢/ ٢٨١)، والحاكم (١/ ٣٧)، والطيالسي (٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧ و٢٨٨)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٣) وهو حديث صحيح.

(٢) في رسالته «تحقيق كلمة الإخلاص» (ص ٢١-٢٢)، وتتمة كلامه حول الحديث الذي أورده: «وهذا يُروى من حديث أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، ولكن إسنادها لا يصح، وجاء أيضًا من مراسيل الحسن بنحوه».

قلتُ: وانظر تعليق شيخنا الألباني عليه في تخريجه للرسالة المذكورة.

واستعانةً وخضوعًا وإنابةً وطلبًا، وتَحققه بأن مُحمدًا رسول الله ﷺ ألاَّ يعبد الله بغير ما شرعهُ على لسان مُحمد ﷺ، وقد جاء هذا المعنَى مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «مَن قال: **لا إله إلا الله مُخلصًا دخل الجنة**. قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال: **أن تَحجزك عما حرَّم الله عليك**».

ولهذا قد ورد إطلاقُ الإله على الهَوى المتبَّع قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[الجاثية:٢٣] . ولهذا قد أُطلق الشركُ على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس أو طاعة غير الله[١] أو نَحو ذلك، وقد ورد: «**تَعِسَ عبدُ الدينار، تعس عبدُ الدِّرهم**»[٢] . فصار الدينارُ والدرهمُ معبوده وإلهه.

والذين حققوا قول: لا إله إلا الله فهم عبادُ الرحمن الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[الحجر:٤٢] . اللهم اجعلنا منهم بفضلك ومنِّك.

اعلم أن المشركين إنما قصدُهُم تعظيمُ الله تعالى، وأنه لعظمته، لا ينبغي الدخولُ عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لـم يقصد الاستهانة بِجناب الربِّ ﷻ وإنما قصدُه تعظيمهُ بِحسب زعمه وقال: إنما أعبدُ هذه الوسائطُ لتُقرِّبنِي إليه وتُدخلني عليه فهو المقصود، وهذه وسائلُ وشفعاءُ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) وفي ذلك نظر، راجع تفصيله في «الصلاة وحكم تاركها» (ص ٢٣-٢٩) لابن القيم.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٨١)، وابن ماجه (٤١٣٥)، والبغوي (٤٠٥٩) عن أبي هريرة.

(١٣)

ثمَّ إنَّ الشركَ شركان:

شركٌ يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقدُ أنه سبحانه لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا إنما يصدر غالبًا مِمَّن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وهكذا حالُ أكثر الناس، وهو الشركُ الذي قال فيه النبي ﷺ: **«الشِّركُ في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة.** قيل: فكيف ننجو منه يا رسول الله؟ قال: **قل: اللهم إنِّي أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك لِما لا أعلم»**. رواه ابن حبَّان في «صحيحه»[1].

---

(١) لم أره في «صحيحه»، وإنما هو في «المَجروحين» (٣/ ١٣٠) له، وضعَّفه! وأخرجه ابن السنِّي في «عمل اليوم والليلة» رقم: (٢٨١)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (١٧) و(١٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٨) و(٥٩) و(٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١١٢) بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر» (٤/ ٥٤) ونسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم وفي سنده ضعف، وله شاهد عن أبي موسى عند أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٣)، وذكره الهيثمي في «المَجمع» (١٠/ ٢٢٣) وقال: «رواه احمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجال

قال الشيخ أحمد السّرهندي(١) في المكتوب الثالث من المجلد الثالث من «مكتوباته»: لا إله إلا الله: لا أحد يستحقُّ الألوهية والمعبوديةَ إلا الله الذي لا نظير له، فإنَّ المستحق للعبادة الَّتِي هي عبارةٌ عن كمال التذلل والخضوع والانكسار، إنما ثبت لِمن له جَميع الكمالات وسُلب عنه جَميعُ النقائص، واحتاجَ إليه جَميع العالم والأشياء في الوجود وتوابع الوجود، وهو ليس بِمحتاج في أمر إلى شيءٍ أصلاً، وهو الضارُّ النافع، لا شيء يقدر إيصالَ ضرر، أو نفع إلى أحد إلا بإذنه، وإشراكُ أحد في عبادته -جلَّ وعلا- بِمجرد التوهم نِهايةُ الخِذلان والخُسران.

فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله، شريكَ وجوبِ الوجود، وشريكَ استحقاق العبادة؛ بل الأهمُّ الثانِي نفي شريك استحقاق العبادة المَخصوص بدعوة الرسل -عليهم الصلوات والتسليمات-.

فإن المُخالفين ينفون أيضًا شريكَ وجوبَ الوجود بدلائل عقلية، ولكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة، لا يتحاشون عن عبادة الغير، والمشرك في لسان الأنبياء مَن يكون أسيرًا لعبادة غير الحقِّ سبحانه، فمن لم يتحقق بِما قاله الأنبياء من نفي استحقاق ما سوى الله تعالى العبادة لا يتخلص

=

أحمد رجال الصحيح، غير أبي علي ووثقه ابن حبان». وله شاهد آخر عن عائشة في «الحلية» (٨/ ٣٦٨)، وعن ابن عباس (٣/ ٣٦) فيه أيضًا، فهو حسن إن شاء الله تعالى.

(١) المتوفى سنة (١٠٣٤هـ) وقد أفرده بالترجمة الشيخ أبو الحسن الندوي -رحمه الله- في كتاب مستقل، طبع في دار القلم- الكويت.

عن الشرك، ولا ينجو من شعب شرك عبادة الآلهة الآفاقية والأنفُسية، وهو المقصود من بعثة الرسل -صلوات الله وسلامهُ عليهم-، وقد قالوا: إن كل ما هو مقصودك معبودك، فمعنَى لا إله إلا الله: لا مقصود إلا الله، كما أنه لا معبود [بِحقٍّ] إلا الله، ولا ربَّ إلا الله.

وفي المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضًا: إن الله هو الخالق الرب المُنعم فيجب على العبد الشكرُ والعبادةُ؛ ولكن يَجب كونُ الشكر والدعاء منحصرًا في إتيان أحكام الشريعة قلبًا وقالبًا واعتقادًا وعملاً، وكلُّ تعظيم وعبادة له يؤدى بها وراء الشريعة لا يكون قابلاً للاعتماد، بل كثيرًا ما يكون مُحصلاً للأضداد، والحَسنةُ المُتوهمة تكون سيئةً في الحقيقة، فأداء شكره تعالى متعذرٌ بدون الإتيان بها، والشريعةُ لها جزءان: اعتقاديٌّ وعمليٌّ:

فالاعتقادي: أصول الدين.

والعملي: من فروعه.

وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة، وفاقد العمل أمره مفوَّض إلى مشيئة الله ﷻ، فشرط صحة الإيمان عدم إشراك شيء بالله تعالى، لا في وجوب الوجود، ولا في استحقاق العبادة، ومَن لم يكن عملُه مبرَّأً عن شائبة الرياء والسمعة، ومظنة طلب الأجر من غير الله تعالى، ولو بالقول والذكر الجَميل فليس هو بِخارج عن دائرة الشرك، ولا هو بِموحِّد مخلص، ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدمٌ راسخ في الشرك، والمصدق للدينين من أهل

الشرك، والمتشبث بِمجموع أحكام الإسلام والكفر مشركٌ.

والتبرؤ من الكفر شرط الإسلام، والاجتنابُ عن شائبة الشرك توحيدٌ، والاستمدادُ من الأصنام والطواغيت [والأرواح والأموات] في دفع الأمراض والأسقام كما هو الشائعُ فيما بين جَهَلَةِ أهل الإسلام عينُ الشرك والضلالة؛ فيكفرون من حيثُ لا يشعرون؛ ونذر الحيوان للمشايخ، وذَبحُه عند قبورهم داخل في الشرك، ولا يَجوز إشراكُ أحد به تعالى في عبادة من العبادات، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة، وتسويلُ الشيطان الرجيم.. إلخ.

قال المعصومي: نِعمَ ما قال في هذه المقالة، وقد أتى هنا بالحق الصريح الذي ليس وراءه إلا الضلالُ، ولكنه أخطأ في كثير من المواضع تقليدًا لِمشايخه وحفظًا لشئون طريقته، وصار سببًا لخطأ؛ بل ضلال كثيرٍ مِمَّن اتبعه مِن بعده من أهل طريقته، كاستمداده من أرواح مشايخه، وروحانية أسلافه، وأمره مريديه بالذِّكر باللفظ المفرد: الله الله[1].

وأمره بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ في خياله وقلبه، واختراعه اللطائف الخمس: القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى، وأمر المريد بالملازمة بالذكر الخاص بكلِّ واحدة منها إلى غير ذلك من الترهات التي قد بينتها في كتابِي: «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن»[2]. فعليك به إذا أردت التحقيق، وبالله التوفيق.

---

(١) انظر: التعليق المتقدم برقم (ص٣٤).

(٢) تقدم الكلام عليه.

فقد ثبت ثبوتًا بيِّنًا أنَّ لا إله إلا الله مفتاحُ الجنة، ومفتاحُ دار السلام؛ لكن بشرط كونها خالصةً مُخلصةً.

فلابدَّ أولاً من الكفر والتبرؤ من كل الآلهة الآفاقية والأنفُسية، ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقًّا، وأهم ما نَفَته هذه الكلمةُ استحقاق العبادة لغير الله نفيًا كليًّا؛ ولأجل هذا أُرسِلَتِ الرسل، وجُرِّدت السيوفُ، ومن لوازمها العملُ بكل ما جاء به مُحمدٌ رسول الله ﷺ من مقتضى هذه الكلمة بلا تغيير ولا تزييد.

فمن المَنفي الربوبيةُ والخالقية، فلا ربَّ إلا الله، ولا خالقَ إلا الله، فمن اعتقد أنَّ الملائكة، أو الأرواح تُربِّى تربيةً بسلطة غيبية فقد أشرك بالله في الربوبية والخالقية، كما هو حالُ كثير من جَهَلة القبوريين والطُّرُقيِّين.

ومن المنفي: القدرةُ، فلا قدرةَ لأحد، ولا قادريةَ أصلاً، فلا قادر إلا الله، ولا قدرة لأحد إلا بالله، فلا حولَ ولا قوَّة إلا بالله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواحَ تقدرُ على شيء بنفسها فقد أشرك بالله في صفة القدرة والقادرية.

ومن المنفي: التصرفُ في الكون والإحياء والإماتة، فلا متصرف في الكون إلا الله ولا مُحيي إلا الله، ولا مُميت إلا الله، فمن اعتقدَ أن الملائكة أو الأرواح، تتصرَّفُ في الكون أو تُحيي أو تُميت فقد أشركَ بالله.

ومن المنفي: الحكمُ والتحليلُ والتحريم، فالحاكمُ الحقُّ حقيقةً هو الله وحدَه، وهو المُشرِّع وحده، وهو المُحلِّلُ وحدَه، وهو المُحرِّم وحدَه، فلا حاكم

إلا الله، ولا مشرِّع إلا الله، ولا مُحَلِّل إلا الله، ولا مُحَرِّم إلا الله، فمن حكم بِحل شيء لم يُحلَّه الله أو حَكَم بِحرمة شيء لَم يُحَرِّمه الله، أو شَرَع ما لم يأذن به الله، فقد أشرك بالله[1].

ومن المنفي: العبادةُ والمعبودية، وهذا هو الأصلُ الذي أُنزلت هذه الكلمةُ لأجله، وأُرسلت الرسلُ لأجله، فلا معبودَ حقًّا إلا الله، ولا يُعبد حقًّا إلا الله بأي نوع من أنواع العبادة.

وبالجملة: إنَّ الدين قد أُكمل وتُمِّمَ وبُيِّن تَمامَ التبيان، مِن طَرف رسول الله الذي بُعث إلى كافّة الأنام من الإنس والجانِّ بالحَقِّ والهُدى، فالزيادة على ذلك ضلالٌ أي ضلال، وخسرانٌ أي خسران، وهذا هو معنَى لا إله إلا الله، فَمَن قالها لفظًا؛ ولكنه غيَّر معناها، وأفسد تفسيرها، وعَبَدَ غَيرَ الله فقد أتى ببهتان، فلا شك أنه يصيرُ من أهل الخسران، فتنبه.

* * * * *

---

(١) إن فعل ذلك مستحلاً، أو معتقدًا أفضليته على شرع الله، أو غير ذلك من أنواع الكفر المعروفة عند أهل العلم؛ كما فصَّله شارح «الطحاوية» -رحمه الله-.

(١٣)

ومِن إكمال لا إله إلا الله، وإتمام شرح هذه الكلمة، أسماءُ الله الحسنى التي قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالَى تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[(١)]. أي: أتى بها عالـمًا بِمعناها[(٢)]، ومؤمنًا بِمنطوقها ومفهومها، ومعتقدًا معناها دخل الجنة.

لأن هذا الشخص يكون مؤمنًا موحدًا، وعارفًا بصفات الله ﷻ، ومَن هذا صفتُه فلا شكَّ أنه من أهل الجنة؛ لأنه لا يعبدُ إلا الله، ولا يدعو إلا الله،

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٢) عن أبي هريرة.
ومن المفيد هنا أن أنبه أن هناك رواية أخرى للحديث فيها عد هذه الأسماء التسعة والتسعين؛ لكنَّها لا تثبت من حيث السند -رغم اشتهارها عند كثير من أهل الدعوة والعلم- فقد رواه بالزيادة الترمذي (٣٥٠٧)، وابن حبان (٢٣٨٤)، والحاكم (١/ ١٦)، والبيهقي (١٠/ ٢٧)، والبغوي (٥/ ٣٢)، وضعفه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٢).
وذكر الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢١٥) أن علة الحديث هي الاختلاف فيه واحتمال التدليس والإدراج، وضعفه أيضًا ابن حزم في «المُحلى» (٨/ ٣١) وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٩).

(٢) انظر «النهاية» (١/ ٣٩٧) لابن الأثير.

ولا يسأل إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يَخاف إلا الله، ولا يعتمد، ولا يتوكَّلُ إلا على الله، ويَرى الله تعالى دائمًا معه[١] سَميعًا بصيرًا رقيبًا مُجيبًا، ولا يعبدُه إلا بما شرعه.

فهذا هو المؤمن المُخلصُ الذي يَحفظه الله تعالى من وساوس الشيطان؛ بل لا يستطيعُ الشيطان أن يغويه ويضلَّه، كما أخبر الله تعالى في كتابه [عنه]: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٥].

وفي سورة النحل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠].

فنسألك اللهم أن تحفظنا من شرِّ الشياطين، شياطين الإنس والجن ووسوستهم، وتعيذنا منهم بفضلك ومنِّك وكرمك، فإنه لا حولَ ولا قوةَ إلا بك، فاللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك.

ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لَدُنك رحمة إنك أنت الوهاب.

قال جامع هذه الوُرَيقات أبو عبد الكريم محمد سُلطان المعصومي الخُجَندي مولدًا والمَكِّي مهاجَرًا وموطنًا:

إنِّي فرغتُ من تحرير ما ألهمني الله تعالى من شرح مفتاح الجنة لا إله إلا الله،

---

(١) معية علم وحفظ.

فأسأل الله تعالى أن يُميتني على هذه الكلمة، ويجعلها وردي وزادي وغذاء قلبِي وروحي، ويوفِّقني للعمل والاعتقاد بِمقتضاها من غير تبديل ولا تحريف.

ربنا لا تؤاخِذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربَّنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حَمَلته على الذين من قبلنا، ربَّنا ولا تُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنَّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وكان ذلك ضحوةَ يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٦٣ في داري المملوكة لِي الكائنة في زقاق البخارية من حارة المُسَفَّلة من مكة المكرمة، قريبًا من المسجد الحرام -حَرسَه الله تعالى إلى يوم القيامة-.

تَمَّ بعون الله

تقريظ الشيخ عبد الظاهر أبي السمح

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن كثيرًا من العلماء السَّلفيِّين المُعاصرين اطَّلعوا على هذا التأليف حين الجَمع فاستحسنوه ووافقوه، كرئيس القُضاة الشيخ عبد الله بن الحَسن آل الشيخ مُحمد ابن عبد الوهاب، والشيخ مُحمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ أبي السَّمح مُحمد عبد الظاهر إمام وخطيب المسجد الحرام وغيرهم، فكلهم قرَّظوه، فمن جُملة ذلك ما كتبه الشيخ أبو السمح عبد الظاهر[1] بِخط يده:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله مُحمدٍ وآله وصحبه، ومن والاه.

وبعد:

فقد اطَّلعتُ على رسالة الأستاذ العلاَّمة الشيخ مُحمد سلطان المعصومي

---

(١) توفي سنة (١٣٧٠هـ) ترجمته في «الأعلام» (٤/ ١١) للزركلي.

الخُجَندي الموسومة بـ: «مفتاح الجنة لا إله إلا الله» فألفيتُها رسالةً قيمةً نافعةً في التوحيد شارحةً معنى لا إله إلا الله، كما ينبغي، فعلى الناصحين لأنفُسِهم الحرص عليها ومُذاكرتها وتكرارها.

فقد جَمَعَت من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ما فُرِّق في مواضع كثيرة، أكثر الله من أمثال مؤلفها، وأعانه على تأليف مثلها ونفع بها، إنه قريبٌ مُجيبٌ، ولا ريب أنَّ الأستاذ بتأليفه هذه الرسالةَ وما تقدَّمها قد قام بواجب النصيحة لله ورسوله ودينه وأمته فجزاه الله أحسن الجزاء آمين.

وكتبه

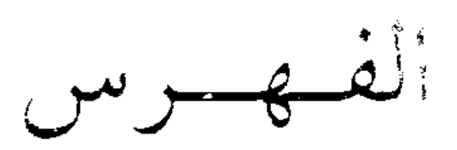
أبو السَّمح عبد الظاهر محمد

إمام الحرم المكي وخطيبه

ومدير دار الحديث في ٣/ ٣/ ١٣٦٣هـ



الفهرس





فهرس الموضوعات


مكتبة
لسان العرب
أ علاء الدين شوقي

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

التحـذيـرات

مــن الفتــن العاصفـــات

وتـمـيـيـزُ ما اشتَـهَـرَ مِـن الرِّوايات

كتبه

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلبي الأثري



اتباع الرسول

بصحيح المنقول وصريح المعقول

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

(ت ٧٢٨ هـ)

تحقيق

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

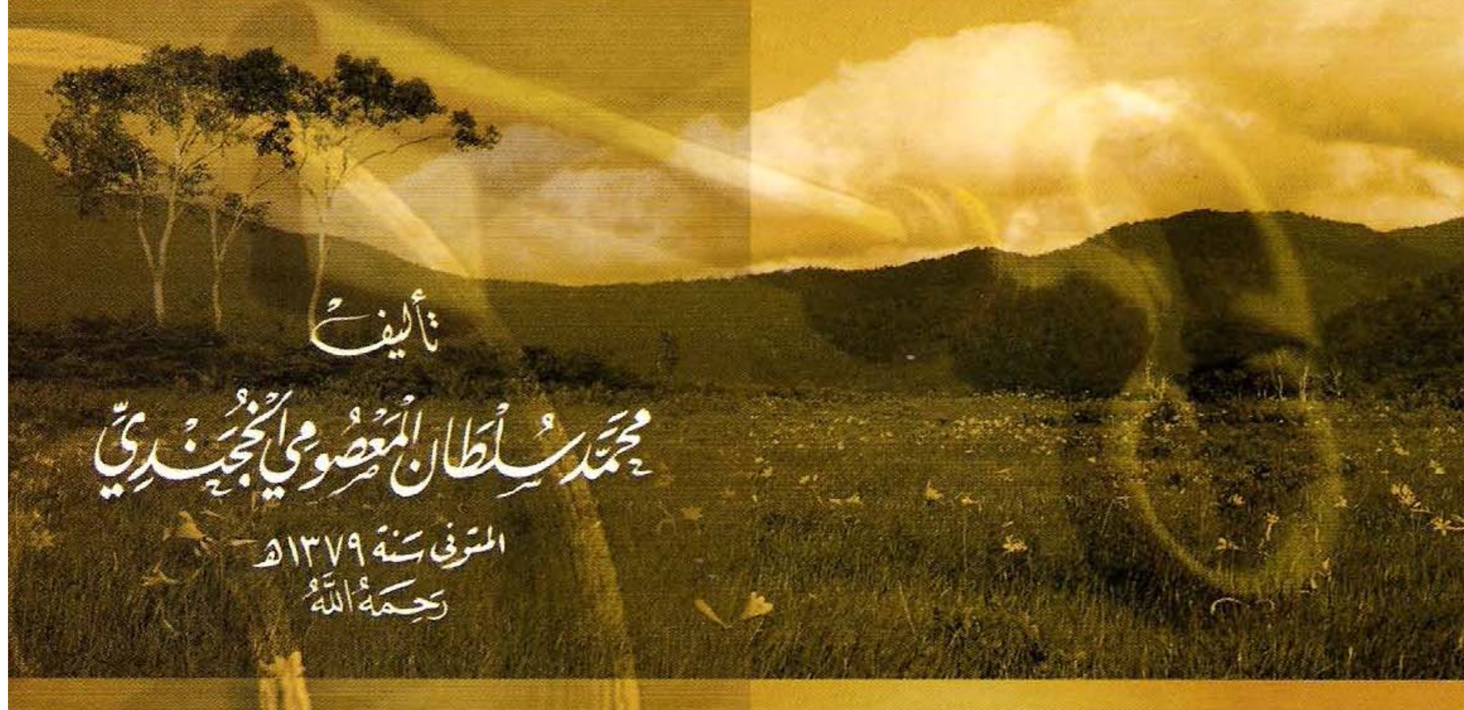
الحلبي الأثري



لا إله إلا الله









تحقيق

علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري